سهام سمير

جغرافيا الحب

obeikan.com

الكتــــــــاب: جغرافيا الحب

المــؤلـــــف: سهام سمير

تصميم الغـــلاف: إسلام مجاهد

المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقــم الإيـــداع: 3685 / 2017

الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 161 - 8

الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

سهام سمير

جغرافيا الحب

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إليك

"لا تأخذني على محمل الجد فلن أكون صديقة وفية، لن أصارحك بعيوبك، ولن أهديها إياك، وسأجد لك ألف عذر فوق السبعين، وسأسامحك وبالطبع سأنسى، لن أقف بجانبك، ستجدني في زاوية المكان، قبل أن أسقي لك سأتوارى للظل، سأعادي أعداءك تلقائيًا، وبالطبع لن أحب محبيك،

سأسمع منك فقط لتستريح، لكن لن أُحمِّلك لومًا أو عتابًا،

وسأكون خاصرتك لا خنجرك، قد نموت كلانا بنيران صديقة،

أنا أسوأ صديقة قد تعرف لها عيون ولا تبصر سواك، وليس لها آذان تسمع فيك السيئ.."

obeikan.com

في البداية

"حين تغادر أحدهم لن تواجه صعوبة في العودة لمكانه، الصعوبة تكمن في أنه غادر هو الآخر منذ تركته، ليس أقل من إعصار، أو فيضان، أو رياح قوية لتحدث في جغرافيا المكان تغييرًا طفيفًا، وقد يحدث ذلك في سنوات أو ملايين السنين إن أردنا الدقة، أما جغرافيا القلب فلا تحتاج أكثر من كذبة لتغير كل تفصيلة فيه، وتدخله تيه التساؤلات وترديه قتيلا".

obeikan.com

"كل ما من شأنه أن يذكرنا بعجزنا نكرهه أو نزهده، ظنًا منا أننا نحن من رفضناه".

obeikan.com

(١)

فستان صوفي أخضر

دلفت من باب الحجرة الضيقة، ذات الأثاث الكثير المتناثر بغير انتظام، منذ انتقلوا للسكنى فيها بعد هدم منزلهم، وكل شيء تبعثر محتواه، لم يختلف عن أثاث حجرتهم المتهالك معظمه، تحطمت الأسرة جميعها منذ جد عليها هذا الحادث المفاجئ، ألقت تحية عابرة على أمها، التي انشغلت هي الأخرى في ترتيب الملابس على حدة، لتنقلها في الدولاب الوحيد في الغرفة.

سمعا صوت طرق باب، فتحت لتجد جارتهم، صديقة أمها الوحيدة والأقرب لها، تحمل في يدها حقيبة، بدا أن بها ملابس، ولكنها جديدة هذه المرة، جديدة جدًا.

عندما فضت الجارة الحقيبة لاح ظل أخضر، لم تر في لونه قط، ولا في شكله أو ملمسه!

"يليق بكِ .."كان تعليق جارتهم على نظرة" ندى" لما تحويه حقيبة

الجارة،

كانت تعرف مسبقًا، إن فرصة الحصول على ملبس جديد نادرة، تكاد تكون معدومة، منذ وعت حالتهم المادية، تعلم أنه لا ملابس جديدة، كلها مستعملة مما يفيض عن حاجة غيرهم ميسوري الحال، وإن كانت في حالة يُرثى لها، لكنها أفضل من العدم.

لن تصدقي ثمنه، أربعون جنيهًا فقط!!

أربعون جنيهًا مرة واحدة !!

أعادتها شهقة أمها إلى أرض الحجرة، بعدما كانت في سماء لونها أخضر وملمسها دافئ.

لن يضير إن ارتديتهِ حتى.

لماذا جعلتني أرتديه هذا اليوم؟!

منذ ارتديته لم يفارقني، كأنه ارتداني.

كان صوفيًا دافئًا، رغم ملمسه الخشن، منذ وضعته على جسدها تلاحم معه في انسجام واضح، كان جسدًا له فستان أو فستان له جسد.

أصدقاؤها يحسدونها على قوامها الممشوق، بفعل فتات الطعام الذي

obeikan.com

تقتاته، لكن الجسد الممشوق لم يزينه يومًا زي جديد.

تذكرت يوم طلبت من أبيها زيًا جديدًا للعيد، أجابها: من أين لي ولكِ هذا؟ كيف لا يتأتى لنا هذا؟!

لا تعلم، كل ما تعيه أنها تريد فستانًا جديدًا ومعه حقيبة يد، ورغم أن طلبها قوبل بالرفض وبالنهر لعدم إحساسها بالمسؤولية يومها، إلا أن الرغبة في اقتناء فستان جديد لم تفارقها، تلك الرغبة التي جعلتها فيما بعد تزهد كل الفساتين!

أفاقت على صوت أمها، انزعي عنكِ الفستان لن نستطيع شراءه، كأنها لم تكن مرتدية قبله شيئًا، احتواها وهي لم تعرف بعد ولا قبل معنى الاحتواء .

لعنت يومها الفقر والحاجة، والرغبات الملحة التي لا تتحقق، لعنت الملابس القديمة والجديدة، والحجرة الضيقة التي تزداد ضيقًا يومًا بعد يوم. كانت أحلامها أكبر من حجرتهم الضيقة، وأكبر من نهر أمها لها على تطلعاتها، وأكبر من رفض أبيها لاقتناء أي جديد. كانت تعي العوز والحاجة جيدًا لكنها لا تعي لماذا كُتب عليهم هذا الفقر؟!

تشعر بالخزي من ملابسها القديمة المستعملة، من جهل أمها وأبيها،

من ضيق الحجرة بهم، تسمع بأذنيها ما يدور بين أبويها أثناء علاقتهما الحميمية. لا مجال لأن يخفضا أصواتهما، مهما أخفضاها مسموعة، لا شيء يمكن مداراته، لا تريد أن تسمع أو ترى، ولا يستطيعان إلا أن يفعلا.

يوم نزعت عنها الفستان، انتزعت معه أحلامها في أن ترتدي يومًا مثله، لا تعلم إن كانت كرهت اللون الأخضر أو الصوف أو الملمس الخشن كذلك، دفنت أنوثتها مع جسدها المتناسق في ملابس رثة. علقت حبها لجارهم على مشجب العجز وقلة الحيلة، جنبًا لجنب مع تطلعاتها وطموحها، حين تفوقت في نهاية المرحلة الثانوية تخيلت أن أبواب الجنة فُتحت على مصاريعها لاستقبالها، حين انكبت على الكتب والأوراق، ولازمت مدرسيها ولم تتغيب يومًا، كانت تظنها تحجز بهذا مكانًا لها بين علية القوم. كان التحاقها بكلية من كليات القمة إيذانًا منها بأن الأمور أخيرًا ستكون في نصابها، لم تدرك حكمة الفستان.. كان يناسبها تمامًا إلا أنها لم تمتلك ثمنه، ولم تمتلك ثمن كلية القمة التي لم تعطها أكثر من ورقة مختومة، مكتوب عليها:

"تشهد كلية .....

بأن .....

قد تخرجت فيها بتقدير عام ..... ".

ولكن لا شيء أكثر من هذا، لم تقربها الكلية التي اشتهتها من حبيب العمر، ولم تشترِ لها الفستان الأخضر، ولم تؤهلها لوظيفة مناسبة، كان عليها أن تستمر في سلسلة المعاناة التي بدأتها منذ مولدها إلى ساعته وتاريخه، حتى حين أصبح في مقدورها شراء مثل الفستان ذي الأربعين جنيهًا، بل وأكثر من هذا، لم تفارقها أمنية الفستان الأخضر، ولا حلم الجار القريب البعيد، لم يغادر قلبها يومًا، رغم عدم شعوره بها، ورغم عزوفه عنها، ولم ترتدِ غير الفستان الأخضر منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا، حين كانت في الخامسة عشرة من عمرها!

غريبة تلك التفاصيل التي تلاحقنا مرغمين، لا نستطيع الهروب مهما كلفنا الأمر من بحث ومشقة ومقاومة، تشتاق لقوامها المتناسق بعد أن أهدرت السنون الثلاثون تناسقه، تحن للجار القريب البعيد الذي لم يحسها يومًا، تمقت اللون الأخضر والصوف ذا الملمس الخشن.

تنظر في شهادة تخرجها دائمًا، لمكان الختم الذي خُتمت به للأبد، "مقبول".

"أخبروني أنك بعيد ولم أصدقهم، بحثت عنك في كل الوجوه ولم أجدك، قرأت الأرقام المتصلة مرارًا، ورسمت في ذهني ما سأقوله، ومتى سأسكت؟! كنت أود أن ألمس منك الكتف، وأذرف على صدرك الدمع، وأغفو وأفيق على صوتك، حسنًا فعلت إن لم تفعل شيئًا مما سبق..." .

obeikan.com

(٢)

قارئة الفنجان

ألحت عليّ أن أقرأه لها، في عينيها مكشوف تسميه هي سرًا، لم يعد هناك العديد من الأسرار مؤخرًا بعدما بخلت علينا الحياة بإمساكها عن كشفنا، لأننا لم نُجد الاحتفاظ بها جيدًا في الأساس، رمقتها بمزيد من العطف والشغف لما تحاول أن تداريه تلك العيون المفضوحة، لا تعرف هي الأخرى سري، كل ما قلته عن موهبتي في تلك الحكاية محض افتراء، ماذا أفعل وقد حاصرني الباقون؟! لكلٍ هوايته وميزاته التي يتميز بها عمن سواه، وأنا طوال عمري كنت الطفلة العادية.

عادية المظهر، الصفات، اضطررتُ كنوع من التباهي، ومن إثبات الوجود، أن أعلن لأقراني في العمل أنني أعرف قراءة الفنجان، تمامًا كجدتي وخالتي. لم أكذب بشأن الأخيرتين، فكلتاهما أجادت قراءة الفنجان وأشياء أخرى، كلتاهما أجادت قراءة زوجها وأبناءها، وجدتي بالإضافة لذلك أجادت قراءتي، يوم ماتت عرفت أنني سأعود الطفلة

العادية المجردة من حنان أمومي ضنين جدًا.

أمسكت بفنجانها أرسم على شفتيّ علامة تعجب، وتنضح عيني بعلامات انبهار كي أكسب ودها واحترامها، وأكسب أنا مصداقيتي، لن أقول أخبارًا سارة فقط، هكذا علمتني الحياة، أنها ليست ذاك اللون المبهج دائمًا، إنما تتداخل الخيوط معًا لتنسج رداء الأيام بعضها أسو، والبعض الآخر أبيض، وأيامًا لا تحمل من الألوان إلا الرمادي.

تعمدت أن أنقل لها الأخبار السيئة أولًا، أو بالأحرى التي سأؤلفها من عندي لأني لا أرى سوى أطلال حكايات باللون البني داخل الفنجان الأبيض.

كنت على علم مسبق بوفاة أمها حديثًا، أدرت دفة الحديث من هنا:

قلت لها في توجس: غادرك اثنان أحدهما طوعًا والآخر كرهًا، ترقرقت دمعة في عينيها، أو هكذا تراءى لي، غالبت دموعها ومن بينها انطلقت تحكي:

فُسخت خطبتي مؤخرًا، لا أدري السبب لكني استيقظت يومًا لم أجده جواري، مع أني كنت أحوج ما أكون لجواره هذه الأيام، فرغت الأماكن بسرعة من ساكنيها، غادرتني أمي بعد مرض قصير، منذ شهور أتوقع

موتها، أُحضّر نفسي لما سأقوله، وما سيقال لي، ماذا سأرتدي، ومتى سأنزع عني الأسود؟!

رتبت في ذهني كل الأمور قبل أن تحدث، تعجبت من تصرفي العملي البحت، أرجعت هذا لعدم وجود عاطفة تجمعنا أنا وأمي، أمومة وبنوة وصداقة من نوع خاص، كما تمنيت دائمًا، وكما أسمع من حكايات صديقاتي، لكن حين حدث ما حدث وجدتني أرتدي زيًا عاديًا. كنت يومها في زيارتها بالمشفى الذي ترقد فيه، نقل الطبيب لنا الخبر بكلمات منتقاة بعناية، من الواضح أنه يحفظها عن ظهر قلب، استندت إلى الحائط الذي يليني، ثم سرعان ما وجدتني أجلس أرضًا أبكي سرًا دون أن أُلفت أنظار أحد، بحثت عنه في كل الوجوه لم أجده. تزامن اختفاؤه مع مرض أمي الأخير، علل اختفاءه ببعض المشاغل، لكن قلت لنفسي إنه سيظهر حين يعرف بوضعها الحرج، لم يظهر وشغلني اختفاؤه أكثر مما شغلتني إشارات الموت التي بدت واضحة على أمي لا تخطئها عين، مرت مراسم إجراءات الدفن ومراسم العزاء سريعًا أو هكذا خُيل لي، لمَ لم ينتظروا قليلًا حتى يلحق بنا؟ أين هو؟ قابع في عقلي وقلبي، أحجز له كل الأماكن المفضلة لدينا ولا يأتي، يهديني غيابه في وقت أشد ما أحتاج لحضوره، لا أعرف عدد المرات التي

فاجأني فيها بغيابه، كل ما أعرفه أنه بعيد الآن بقدر قربه السابق.

لم ألتفت لكثرة تنبيهاتهم وتحذيراتهم، لم أصدق فيه حرفًا، مع أن كل الحروف تشير لإدانته مع سبق الإصرار. اختلقت له الأعذار الواحد تلو الآخر، حين كنت أحتاجه ليرمم ذاك الجزء المكسور مني، بدأت أفكر فيما أصابه هو، واساني القاصي والداني في موت أمي، في حين لم يواسيني هو ولم يعزيني أحد فقدانه، فقدت الاثنين كما قلتِ طوعًا وكرهًا!

حين دخلت عليّ صديقة تواسيني قالت جملة فارقة: "ربنا ما ينسيهالك بغالي"، لم أفهم في البدء ما قالت، ولما كررت الجملة برأسي كان هو من ارتسم أمام عيني لا أمي! دعوت الله مرارًا أن أنساه، وتأخرت الاستجابة كثيرًا، ذلك اليوم بعد رحيل آخر المعزين، وبعد أن غادرت من أهدتني دعوة بحجم الكون، وجدت أني نسيته لكن بثمن غالٍ جدًا، اشتقت لأمي وقتها، ماذا لو عادت واختفى هو؟ !

ماذا لو...؟!

أمي كانت هنا، انصرفت عنها بملء إرادتي إليه، إلى حيث أوقاته وأماكنه وهواياته، إلى حيث تجاهله ولا مبالاته.

مُرة هذه القهوة، لكن ليس بمرارة الحقائق التي نزيل سِترها مؤخرًا، حين نكتشف أننا كنا مرحلة في حياة من جعلناهم كل الحياة، ودرنا في فلكهم كالمجرات لا نبرح المدار.

حين انتهت من قراءة حظها كنت أنا من يبكي، كانت تحكي وأنا أرتشف كلماتها قطرة قطرة!

كنت أرثى لحالي الذي اعتقدته عاديًا، سألتها بلسان المعترف والمقر بذنبه :هل ستكشفين سري؟!

قالت بعد أن جفت دموعها كأن لم تكن:

أنا كنت أريد أن أحكي، أتكلم، كنت أحتاج من يسمعني لا من يقرأني!!

obeikan.com

"ثمة أشياء إن حافظت عليها تركتك بلا مبالاة...

وثمة أوقات، إن ظللت حبيس ساعاتها لدغتك عقاربها..

وثمة أماكن يجب عليك ألا تراها مرة أخرى...."

obeikan.com

(٣)

ولكني أتجمل

"ليست المشكلة أنكِ تكذبين،

المشكلة أني أصدق،

لن تصدق إلا كذبي،

لأنه ما يروق لك".

مرت أكثر من ساعة، وهي تُعدّل من هندامها أمام المرآة، وتضيف المساحيق المختلفة التي تغير من شكلها تمامًا، تجعلها امرأة في لحظات. تنفق ما يربو عن نصف راتبها في ابتياع مستحضرات تجميل، وعطور، وكريمات واقية، وملابس تناسب طبيعة عملها في أحد البنوك الاستثمارية الحديثة.

صديقتها "روان" تولت أمر تعيينهما – الاثنتين - بعدما أنهيتا البكالوريوس، فوالد "روان" له معارف كثيرة، واستطاع أن يزج بابنته

obeikan.com

وصديقتها في هذا المكان، الذي يتقاتل عليه الكثيرون!

"روان"، تحتاجها بجوارها دائمًا لتكمل جزءًا فارغًا فيها، وهي تحتاج "روان"، لتكمل باقي الفراغات.

أنهت ما بدأته من ساعات، لتلحق بموعد عملها. ألقت عليها أمها نظرة عابرة وهي تعيذها من الشيطان الرجيم، تراها جميلة حتى وإن لم تتجمل بالساعات، وتهدر كل الوقت في الزينة والتسوق والعمل. كأي أم وجدت في الوظيفة التي امتهنتها ابنتها "آلاء"، فرصة لالتقاط زوج المستقبل. وبهذا تطمئن عليها وتنهي ما بدأته منذ سنوات، حين رحل عنهما أبو "آلاء" فجأة في حادث تصادف أن يعبر الشارع وقت عبور عربة نقل مسرعة مخالفة لقانون السير.

أرملة خمسينية عاشت بين قرع الأواني، وطلبات الأبناء، وموعد عودة الزوج إلى أن أتى يوم، علا طرق الأواني عما سبق، ونادى الأولاد عليها أكثر من ذي قبل، بل تعلقوا في رقبتها والتصقت هي بهم.

وتخلف الزوج عن عودته!! بين يوم وليلة استيقظت لتجد أن باب بيتها فُتح على مصراعيه، وأن الغريب والقريب أتوا معزين. حين آلت حوائط منزلها للسقوط بعد وفاة السند والظل، زادت من قيود أحاطت بها نفسها وبيتها. يصغر "آلاء" أخوان ما زالا يدرسان، أحدهما دخل

obeikan.com

الجامعة هذا العام، وسيلحق به أخوه العام المقبل.

كانت تعي أنها مسؤولة مع أمها الآن عنهما، ولذا ناصفت راتبها وأعطت أمها النصف الباقي بعد اختصام الجزء الخاص بالتجميل. عبرت المدخل، فالتوى عنق حارس عمارتهم، متتبعًا أثر عطرها النفاذ. مرت من بوابة المترو، فغابت عينا موظف ماكينة التذاكر عن وعيهما،

كل ما فيها آسر، سحّار. تشعر بتفوقها خارج حدود البنك الاستثماري، هي الفائزة، الملفتة، التي تلاحقها العيون، وتتبع أثر عطورها الأنوف!!

أما داخل البنك فالمنافسة صعبة، والكثيرات ملفتات وجميلات، ويصرفن دون حساب للحفاظ على مستوى تألقهن. هي موظفة لا تختلف كثيرًا عن غيرها، يمكن للناظر إليهن أن يعدهن جميعًا واحدًا صحيحًا تجمع من عدة كسور!

تغادر العمل لتستعيد زمام الأمور في يدها، وتقود مسيرة الأيام كما يحلو لها. اليوم فرح إحدى زميلاتها في البنك، يستلزم الأمر منها وقتًا أطول للاستعداد والراحة، كي تظهر وسط المدعوات، ابتاعت منذ أيام ثوبًا يليق بالمناسبة، حقًا استنزف معظم مدخراتها، التي تخفي جزءًا منها عن أعين أمها، لكن لا يهم، فالمهم هو الحفاظ على تلك الهالة

obeikan.com

التي صنعتها لنفسها!

ستذهب في سيارة "روان"، لن تضطر إلى أن تستأجر عربة، يتأملها فيها السائق بنظرات نهمة، وتخشى أن يتسخ الثوب أو يعلق به شيء من السيارة الأجرة. وفي النهاية فالنزول من سيارة صديقتها يضمن لها مظهرًا لائقًا، تستطيع أن تدعي أن سيارتها في الصيانة، رغم أنها لا تمتلك سيارة، أو أنها تخشى القيادة ليلًا.

كما توقعت استغرق منها الأمر وقتًا طويلًا وجهدًا غير مسبوق، ومالًا أُهدر على عتبة الفندق الشهير الذي يقام الزفاف في إحدى قاعاته الكبرى. نسيت في خضم الأحداث السريعة المتلاحقة أن تتناول ما يقيم أودها، كالعادة ارتفع صوتها معترضًا حين نادتها أمها للغداء:

-يا بنتي هاتروحي على لحم بطنك؟

-الأفراح دي بتتأخر ومتعرفيش الظروف.

رفضت بشدة وخرجت دون أن تفكر في موضوع الأكل، الذي لا تتوقف أمها عن التفكير به.

مسكينة أمها لا تعرف أن خارج حدود المنزل متع كثيرة عدا الأكل، وهل تعد ما تطهوه طعامًا؟! لم تشعر بوقع كلام أمها إلا حين نبهتها

معدتها، وشعرت بالجوع،

ليتني سمعت كلامها، لا أعرف متى سيدعون الناس للطعام؟ وفقرات الحفل ما زالت في أولها.

مرت فقرات الحفل عليها ببطء يتزامن معها شعورها المتزايد بالجوع وإحساسها بالهزال!

قدموا في بداية الحفل شربات، وزجاجات المياه المعدنية رصت على المناضد، لكنها تشتهي أن تأكل.

خرجت من القاعة التماسًا لبعض الهواء وأملًا في مرور الوقت، حتى يحين موعد فتح البوفيه.

لاحقها رامي زميلها في العمل، معجب من معجبين كثر، تعتبره شفافًا لا مرئيًا، لا تلقى له بالًا أو تهتم بكلماته، ظنته يقول مساء الخير لذا ردت في غير اهتمام دون النظر إليه مساء النور!

تصبب عرقًا، مع أن الجو رائع حتى خارج القاعة، فالهواء يلاعب خصلات شعرها المنساب في نعومة، وتعبث هي به مللًا زاده وجود رامي.

بعد أن مسح عرقه المتصبب أكثر من مرة، وعدّل ملابسه وهو واقف معها، لا يعرف كيف يتصرف بلياقة؟!

ابتعدت خطوة، اقترب الخطوة التي تراجعتها، مشمئزة منه ومن تصرفاته ومن ملابسه، ما هذا الذي يرتديه هذا المختل؟!

قميص وبنطلون، لم يراعِ حتى أن ينسق الألوان والخامات، ويمسح عرقه المتصبب بمحرمة قماش، هل ما زال أحد حتى الآن يستخدم المحارم القطنية؟!

تمتم بكلمات لم تجهد نفسها في تفسيرها، واختفى على إثرها.. يبدو أنه ذهب ليغسل وجهه، فقد رأته يجفف وجهه المبتل بالماء.

تريد أن تصرخ فيه، أن كفى، نظرت باشمئزاز ثانية، وقررت أن تعود للقاعة، استوقفها، فتعجبت من جرأته على اقتحام حدودها هكذا!

قال بصوت أقرب للتوسل:

- آسف أني أزعجتك، أعرف أن تصرفاتي غير لائقة ولكنها المرة الأولى لي، ولا أعرف كيف أتصرف، آسف مرة أخرى.

حمدت الله سرًا أنه قال الجملتين، واتخذ مكانًا آخر مبتعدًا عنها. وإن ظلت تلاحقه بعينيها، من الذي دعا هذا المعتوه؟! لا يعرف ما يقول،

obeikan.com

ولا كيف يلبس، ولا كيف يتصرف؟

جُنت "سارة" بالتأكيد لتدعوه لحفل زفافها!! أتعجب أنه عُين في هذا البنك! ويتعامل بطريقته هذه مع الجميع.. ألم يلحظ أحد أنه غير مناسب للمكان؟!!

صرفت النظر عن التفكير فيه وفي سلوكياته، وعادت للقاعة، لا زالوا يقدمون الفقرات والأغاني والرقصات.

دخلت من باب يؤدي إلى البوفيه، ألقت نظرة سريعة، زادت من اشتهائها وأرادت أن تتذوق فقط أيًا من هذه الصنوف التي امتدت بطول الغرفة المعدة للبوفيه. بدأت بالتذوق، حقًا أول مراحل الشهوة التذوق، لم تنطفئ شهوة الجوع بداخلها، بل زادت، فتناست الحفل والقاعة والمدعوين!!

ترى المدعوين، وقد اتخذوا مقاعدهم بعدما عزفت الفرقة لحنًا مغايرًا، يبدون في غاية الانسجام والتناغم مع العزف، والمطرب الذي يغني الآن، فاتها أن تستمع إليه، تنساب الموسيقى وصوته شجي، تُرى أي مطرب هذا في المشاهير؟!

فاصل زجاجي يفصل بينها وبين القاعة! مصور الحفل يجوب القاعة

بعينيه، ولا ينسى أن يلتقط صورًا للمطرب الذي بدأ منذ قليل، واستحوذ على انتباه الجالسين وسرق آذانهم.

بينما يعلو صوت فلاش الكاميرا لتلتقط صورة لـ"رامي" يشدو بصوت عذب، تلتقط العدسة في الخلفية صورة لفتاة تبتلع الطعام في نهم وخلسة، في بوفيه الفندق.

obeikan.com

"ليس الطرق الشديد المتلاحق على الباب ما جعلني أفتحه، إنما حاجتي للقاء مرتقب ما دفعني لذلك، ليتني تراجعت قبل الخطوة الأخيرة أو ليتك أنت يئست، لكن حسابات القدر الدقيقة فاجأت كلانا...".

obeikan.com

(٤)

ملعقة شك

طرقت أم مسعد الباب مرارًا حتى ظهرت جارتها أم رضا خلف الباب الموارب، باديًا عليها إرهاق الليلة الفائتة.

- ابتدرتها قائلة: صباح الخير، كيف حالك اليوم أم رضا؟

- ردت في تعب لم تجهد نفسها في إخفائه:

- صباح النور.

-لا أحد يشعر بي ولا أحد يثمن ما أفعله!!

هونت أم مسعد من كلام جارتها، وشكواها مبينة لها أن كل الأولاد متعبون، وتربيتهم صعبة وأيامهم أصعب.

لا أعرف لماذا يلازمهم سوء الحظ؟ نحن لم نؤذِ أحدًا وهم أطيب خلق الله...

أكدت أم مسعد تعاطفها الكامل معها واستطردت قائلة لها:

أبو مسعد يتابع الإعلانات اليومية في الجرائد ويُعلّم أبناءنا بكل وظيفة تظهر أو يُعَلن عنها)لعل وعسى(.

تردد أم رضا متبرمة: (لعل وعسى)!!

الحظ الحلو ملازمكم شئتم أم أبيتم!

تضحك عليّ أم على نفسها، أم تخاف العين أن تصيب أحد أبنائها الأربعة؟

منهم ثلاثة يعملون في وظائف حكومية ورواتب جيدة مضمونة، وحصلوا من خلالها على سكن للشباب ..أين مشكلتهم؟!

بل أين مشكِلتك أنتِ؟

زوجك يطيعك في كبير الأمر قبل صغيره، حتى في التعب محظوظون، ولدك الرابع الذي وُلد بورم عجز الأطباء هنا عن تشخيصه وعلاجه، فإذا بكم تحصلون على فرصة لعلاجه في الخارج على نفقة الدولة.

أكاد أشك أنكم أقارب أحد المهمين أو الوزراء، لم نسمع من قبل عن موظف بسيط يسافر ابنه للعلاج على نفقة الدولة !!

شردت حتى وصل - حيث يُعالج الابن ويرافقه الأب -وهي واقفة بباب

obeikan.com

شقتها مع جارتها التي لا تدري عن حديث النفس المُر هذا شيئًا.

أفاقت على صوت أم مسعد.

سأذهب غدًا لشقتنا القديمة بوسط البلد لأنهي بعض الأعمال هناك، فصلت الثلاجة وتخلصت من بقايا الأكل وتبقى وعاء السمن، أخشى أن يفسد إن تركته ولن أستطيع أن أحمله معي فينكسر مني في السيارة، هل أستطيع تركه لديكِ؟ يومين بإذن الله وأعود.

ترددت أم رضا في الرد بالقبول أو الرفض، فهي بطبعها متشككة في نوايا الماثلين أمامها، مهما بلغت طيبتهم وطول جيرتهم، وحسن معشرهم، إلا أن طبعها يغلب وتخاف، ما جعلها لا تقترب من أحد، ولا تسمح بالاقتراب منها وتقفل بابها بأقفال شك وتوجس وخوف لا تعرف مصدره، عَلمتّها الحياة بالطريقة الأكثر صعوبة، أن الكل مفارق، أن الجمع سينفض عاجلًا أو آجلًا، لذا حرصت على البعد قدر الإمكان، كما رفضت كثيرًا المجاملات التي أتتها في مناسبات عِدة حتى لا تضطر لردها، ومن ثم قرب، فاختلاط، فبعد، فوجع، فارقتها صديقتها الوحيدة بموت بعد مرض مفاجئ ألم بها، ومن قبل نشأت يتيمة الأبوين، تعودت أن تأخذ منها الحياة أكثر مما تعطي بكثير، وأنها

تلعب بها أو معها لعبة الندالة، فغالبًا ما كانت تقدم لها بيدها اليمنى وتصفعها باليسرى.

عادت لطلب أم مسعد، لا تدري بم تجيب؟! وقد قصدتها في خدمة بسيطة ولن تكلفها الكثير!! فالثلاجة تعمل بوعاء أم مسعد أو بدونه فلمَ لا؟ ثم بماذا ستبرر رفضها؟

لم تشكُ لها قبلًا عطلًا أصابها، وافقت مرغمة، رافقها شعور بعدم الراحة لإزالة أم مسعد الحاجز الكبير الذي تضعه أم رضا في طريق الجميع.

بعد أن أعادت رص الثلاجة مئات المرات، مغيرة وضع وعاء أم مسعد مرارًا لم تنم ليلتها أو الليلة التي تليها، كيف تخرج من هذا المأزق؟ كيف توقف زحف أم مسعد على حاجاتها؟ كيف تجرأت على اختراق حد من حدودها هكذا؟!

هو الباب الموارب الذي واربته لها خصيصًا، لمَ لم أقفله قفلًا محكمًا قاطعًا أمامها، مثلها مثل الجميع؟

غدًا ستأتي لتطلب طلبًا آخر، هي تخطط لتطلب المزيد.

فتحت باب الثلاجة أكثر من مرة لتطمئن أنه ما زال كما هو لم ينقص

منه شيء، بعدما احتله وعاء الجارة، تعد الأيام حتى تعود أم مسعد وتخلصها من تلك الورطة.

في عملية إعادة الرص المستديمة، التي كثرت وتعددت لحد الهوس، ذات تغيير وتبديل كانت تجريه كيفما اتفق، انزلق أحد الأوعية وكُسر محدثًا جلبة وفوضى وتوترًا أصابها قبل أن يصيبها زجاجه المتناثر بجراح ستدوم فترة طويلة.

نعت حظها مبدئيًا، الذي سيوقع أحد أوعيتها مكسورًا مأسوفًا عليه، لم تعرف أن الحظ فاجأها هذه المرة، واستثنى كل أوعيتها، ليختار وعاء أم مسعد!

بعد أن شكرت الحظ الجميل الذي أنصفها ربما للمرة الأولى، تردد داخل رأسها سؤال بحجم قنبلة موقوتة بموعد رجوع أم مسعد!!

ماذا ستخبرها؟

ببساطة فتحت باب الثلاجة فانزلق وعاؤك وكُسر!!

لكن ألا يحدث هذا؟ غير مؤمنة هي بالقضاء والقدر أم ماذا؟!

لائمة نفسها على عدم إحكام بابها مغلقًا في وجه جارتها، كانت ستوفر على نفسها مئات التوضيحات والاعتذارات، خانها ذكاؤها هذه المرة،

obeikan.com

وخانتها نصائح من علموها الحرص والحذر، تأكد لها بما لا يدع مجالًا للشك أن وجهة نظرها في الحياة كانت صحيحة، وإلا ماذا جلب عليها الباب الموارب سوى المتاعب ووجع الرأس، والتوتر الذي لا يفارقها!!

مواجهة أم مسعد كانت حتمية، ولن تستطيع أن تتهرب منها، فوّتت أول يوم لعودتها دون أن تطرق بابها أو تخبرها بشيء مما حدث، وساعدها أن أم مسعد انشغلت في ترتيب حاجاتها، والراحة من المشوار المهلك العائدة منه، ثم في صباح اليوم التالي طرقت باب أم مسعد التي انشرح وجهها وبالها لرؤية جارتها، وقد تعودت على وجهها المتوتر والمهموم دائمًا فلم تلحظ أن كدر جارتها زاد على ذي قبل، قامت لتعد لهم شيئًا يشربونه، نهتها أم رضا عن القيام والتعب وأنهم متجاورون وليس هناك داعٍ للضيافة وأنها ليست غريبة، إلى آخر تلك الجمل المعتادة، أم مسعد أريد أن أخبرك بأن وعاءك كُسر رغمًا عني، كنت أنظف الثلاجة ومرة واحدة سقط الرف بأكمله مسقطًا كل ما عليه، حتى أوعيتي أنا الأخرى كُسرت جميعها!!

سكتت الجارة ولم تعقب.

واعتبرت أم رضا سكوت جارتها هذا عدم تعبير لها على حد قولها

واستهانة بما قالته، ومن جديد تيقنت من صدق رؤيتها هي مثيرة للشك ولا ريب.

لماذا اختارتني أنا دونًا عن جيراننا لتترك لي هذه الورطة؟ لماذا عرضتني لهذا الموقف؟!

في اليوم التالي حين هدأ بال أم مسعد وخف ضيقها على كسر وعائها الذي خشيت خسارته فخسرته، طرقت باب أم رضا، إلا أن الباب ظل مغلقًا.

obeikan.com

"في الشرق سيدي تغفو المرأة عن خطايا رجلها، بينما يوقظها ألمًا إن زاد ملح طعامه...".

obeikan.com

(٥)

كاروهات

ارتدى قميصه على عجل، لم يمنعه تعجله من إحكام غلق جميع الأزرار والاطمئنان على شكل ياقته مرفوعة في استقامة تحيطها رابطة عنق تتماهى مع لون أحد خطوط القميص الكاروهات الذي يرتديه.

نظر في المرآة للمرة الرابعة، لاح في عينيه طيف زوجته، عكسته المرآة، كانت فيما يبدو ترفع أحد حاجبيها وتمتص شفاهها في تعجب من وقوفه أمام المرآة كل هذا الوقت!!

- ما بكِ؟!

- أنا من أود أن أعرف ما بك أنت؟

- لم أرك قبلًا تطيل الوقوف أمام المرآة هكذا، وتعدّل من هندامك أكثر من مرة!!

- ترك المرآة والغرفة والسؤال عالقًا في الهواء دون إجابة!

obeikan.com

أعادت على سمعه الجملة نفسها ورمت بالسؤال مرة أخرى مصممة أن تحرز هدفها هذه المرة دون تسلل.

-لا شيء، عندي اجتماع.

-هل انتهيت من الأسئلة؟

تحفظ إجاباته وتتوقعها، حافظا على لعبة قديمة واتفاق غير ممهور، يتوقع أحدهما ردة فعل الآخر وأقواله وتصرفاته، وغالبًا ما يصدق حدسهما.

عادت لطرح الأسئلة من جديد:

- هي أول مرة يكون عندك اجتماع؟!

- ترتدي ملابسك وتنزل مسرعًا.

- رأيتي؟ هذا معناه أني تأخرت فعلًا ويجب أن أسرع حالًا، سأهاتفك فور انتهاء الاجتماع!

تركها تضرب كل الأرقام في بعضها، وتطرح منها غرابة تصرفاته مؤخرًا، وتضيف لها تأخيره، ومكالمات تأتي فينتفض خارجًا، ينهي الاتصال ويعود، وحين تسأله يجيب كما توقعت تمامًا.

obeikan.com

- مشاكل العمل كما تعلمين.

حاولت أن تنفض عن رأسها هذه الأسئلة والشكوك، هو لا يحب النساء، ولا يلهث خلفهن كأقرانه.

ترددت في رأسها تلميحات صديقاتها، جميعهم يفعلون...

لماذا لن يفعل هو؟!

هذا ديدنهم، الأمر ليس له علاقة بنقص فيكِ أو عيب.

أمسكت مضرب الذباب وأوسعت الذبابة التي لاحقتها حتى المطبخ ضربًا دون أن تصيبها حقًا!

خُيل لها أن الذبابة أخرجت لها لسانها مع تلميحات صديقاتها، ثم رن الهاتف ليزيد من حنقها على إلحاح هواجسها هذا الصباح.

هذا ما كان ينقصها حقًا.

رنين الهاتف لم يتوقف، وهي لم تنجز شيئًا، حزرت أنها مكالمة لإحدى صديقاتها تشكو لها أمرًا، فقدت جُل تركيزها في أسئلة ووساوس الصباح...

ثم إنها لمن تشكو؟ وماذا ستقول؟!

obeikan.com

أشعر بأن أمرًا يُدبر في الخفاء، لكني لا أمتلك دليلًا على ما أقول!

لم يتوقف الهاتف عن الدق فوق رأسها، فأذعنت واستجابت للدق، ردت فكانت أمها، حكت لها عن ضرورة سفرها للبلد، فرح بنت خالك ولا بد أن أحضره.

ما رأيك لو تأتين معي؟ أخوالك وخالتك يسألون عنكِ دومًا، واختتمت كلامها ضاحكة وراجية إياها أن تفكر في الأمر.

أحست أمها برفض (ابنتها) فكرة السفر، وهذا ما كان يدور في بال "نيرمين" فعلًا، أسرت لنفسها القول:

أسافر وأترك له الحبل على الغارب؟! هذا ما يرجوه فعلًا، ليعيث في المنزل همسًا وحديثًا دون أن أقطع عليه مكالماته المريبة!!

اعتذرت من أمها، ووعدتها بأن تُرتب معها فيما بعد لقاء تجامل فيه خالها وتبارك للعروس.

مرددة في سرها:

عروس!!!

لم يمضِ وقت طويل على زواجها.

كانت بالأمس القريب عروسًا هي الأخرى، كان زواجًا تقليديًا، "صالونات" كما يطلقون عليه.

تم الاتفاق سريعًا في ثاني جلسة عائلية على كل التفاصيل...

وانتهيا لقراءة الفاتحة وعلى بركة الله.

لا تنكر حُسن معشر زوجها، وهدوءه القاتل كما تصفه، ويصفه المقربون منه بـ"المهاود".

تقول لها أمها دائمًا:

(آية في مصحف).

ماذا تودين أكثر من ذلك؟

لا تود غير اهتمامه ونظرة متلهفة لم ترها في عينيه يومًا، تريد أن تجرب الغضب الشديد والصلح والخصام، لكنه كنهر ينبع في هدوء ليصب في هدوء يماثله!

لا مفاجآت، لا رحلة، حفلة، نزهة، سينما...

لاءاته تفوق نعمه عددًا!!

وازنت أفعاله مع نواهيه وتساوت في الميزان، فآثرت أن تكمل، ليس من

obeikan.com

داعٍ لإثارة قلاقل وتقلبات عليها، يكفيها تكفل الزمن ببعضها بالفعل، ولكن بعض الهدوء الذي يحتفظ به تحول الآن إلى حجر أُلقي في بركة زواجهما الهادئة.

حدسها لا يُكذبها أبدًا!

تذكر أنها علمت بوفاة حماتها قبل أن تموت بأيام.

رغم إفاقة الأخيرة من العملية التي أجرتها، واجتيازها فترة النقاهة، لكن رؤيا أبلغها فيها أحدهم بوفاة حماتها، نهضت فزعة من أثر الرؤيا، وجرت على غرفة حماتها واطمأنت أنها بخير.

بعدها بأيام استيقظوا جميعًا على صوت الحماة في السكرات الأخيرة، وفاضت روحها مخلفة وراءها جرحًا وتعجبًا من الرؤية التي لم تعلنها لأحد حتى لا تتحقق فإذا بها حدثت كيفما اتفق.

وكم من مرة خمنت أن صديقتها في ضيافة صديقة أخرى دون إخبارها لتمضي أيام ويحدثونها عن تلك المقابلة، وتفاصيل كثيرة تتناسى معظمها، خوفًا من صدق إحساسها وحدسها.

لم تمضِ أيام على الاجتماع الذي حضره زوجها، حين أتاها ذات يوم ليخبرها بسفره لحضور اجتماع مماثل في موقع العمل، من جديد

يغرس الشك بذوره في عقلها، في منتصف رأسها بالضبط بين عينيها.

أخبرتهم المدربة في تمرين التأمل :

أن هناك عينًا ثالثة، إن فتحت لك رأيت أشياءً لها العجب.

وخُيل لها منذ ذلك اليوم، أن عينها الثالثة مفتوحة ليل نهار.

ثم دحض مقولة المدربة قول صديقتها:

ما تعانين منه اسمه وسواس قهري.

تتخيلين المشهد كأنه يحدث تمامًا أمام عينيك.

وماذا أفعل لأتحاشاه، هذا الوسواس؟!

اقطعي طرف الخط واخرجي نفسك من دائرة الشك سريعًا!

سوف تمرضين حقًا ووقتها سيتزوج عليكِ ومعه الحق...

تذكرت سفر أمها للبلد.

تحادثا في الأمر مساءً:

- لم أُرد السفر مع أمي وأتركك وحيدًا!!

- لكن بما أنك مسافر لتنجز أعمالًا للشركة، سأسافر أنا معها للبلد، أحضر الزفاف وأقدم واجب التهنئة وأعفي أمي من تعب السفر في

obeikan.com

المواصلات.

- طبعًا، سافري معها وسواء كنت مسافرًا أو لا، لا تتركيها وحدها.

أخذت عهدًا على نفسها، ستعتبر هذه الأيام هدنة من التفكير والهواجس والشكوك، ستغلق العين الثالثة وتقطع خيوط الشك من بداية البكرة!

اتفقت وأمها على السفر.

نسافر مبكرًا يا أمي حتى لا نعلق في فوضى الزحام، ومن ثم انطلقت بسيارتها.

كانت أمها تحكي لها تفاصيل الزيجة، فيما مرت بجانبها سيارة مسرعة لا تعلم لماذا نظرت لحظتها للسيارة المارقة بجوارها، لمحت في نظرتها السريعة تلك سائق السيارة مرتديًا قميصًا "كاروهات"، وتجاوره فتاة عشرينية تاركة العنان لشعرها الأصفر المجعد!!

هل هذا هو؟ ومن تلك بجواره؟!

زادت من سرعتها حتى صرخت أمها:

لمَ العجلة يا بنيتي؟ تريثي قليلًا، فلنصل بسلام أفضل من ألا نصل!!

لا .. إما الآن وإما لا للأبد!

obeikan.com

قطعت على السيارة المارقة طريقها.

وقفت في عرض الطريق ليتراجع السائق ذو القميص "الكاروهات" في غضب وتصرخ فتاته في رعب:

ما بها؟

مجنونة أم ماذا؟!

نظر أربعتهم لبعضهم...

ثلاثة على الأقل يعرفون بعضهم حق المعرفة.

غريبة هي الرابعة بينهم.

توجهت لزوجها بالسؤال:

لماذا؟!

كذبت حدسي للمرة الأولى، وألقيت بكل الشكوك في بئر سحيقة لتظهر من العدم على الطريق السريع، وتخرج كل هذه الشكوك دفعة واحدة !

رد في هدوئه القاتل:

ولم لا؟ ليس عيبًا وليس حرامًا أني أتزوج ثانية!! وأنا وكل هذه السنوات بيننا. لم أخطئ في حقك ليكون هذا جزائي.

obeikan.com

التفتت على دفعه لها برفق مرة وبعنف مرتين.

نيرمين.. نيرمين استيقظي، هيا أفيقي!!

أنا أفقت فعلًا ورأيتك تتزوج غيري أمام عيني!!

أنتِ تحلمين ..أفيقي.. هيا.

فتحت عينيها في دهشة.

وصرخت في رعب:

- لماذا ترتدي القميص "الكاروهات"؟

- عندي اجتماع في موقع العمل.

-لا تتأخري في الاستيقاظ ستفوتين موعدك مع أمك، تنتظرك لتسافرا معًا..

توالى صدى الكلمات في رأسها:

"كاروهات" ..سفر.. اجتماع ..موقع .. ماما ..البلد!!

obeikan.com

"وأن أكثر الدروس تعقلًا، ما نلته على حافة الجنون".

obeikan.com

(٦)

التاكسي

انتهى اليوم الدراسي لابنيها، كان عليها أن تصطحبهما من المدرسة للبيت، دون أن تلتفت لموكب الرئيس الضيف المغادر، الذي تصادف أن يمر من نفس الشوارع التي ترتادها للذهاب للمدرسة.

سمعت تعليقات ضاحكة ونكاتًا عن كيف سيصعق الرجل حين يجد كل هذه الترتيبات المعقدة، والحفاوة والترحيب المبالغ فيه، أكملت طريقها وانتظرت مع صغيرتها حتى ينهي أخوها الكبير يومه الدراسي، لم تجد ما تجلس عليه، افترشت الأمهات المنتظرة مثلها الأرصفة، وسلالم إحدى العمارات، فعلت مثلهن، فيما أخرجت صغيرتها حقيبتها وأخذت في اللعب صعودًا وهبوطًا على الرصيف، شتت انتباهها وهي تركز معها خائفة من أن تقع فجأة أو تختفي عن نظرها.

"تقى حبيبتي إلعبي جنبي هنا أنا مش ناقصة تتوهي ولا يحصلك حاجة".

- أنا بلعب جنبك وهيحصل إيه لو تهت؟!

- متقوليش كده متتعبيش أعصابي أكتر ما هي تعبانة.

تابعت قراءة الكتاب في يدها وعين على الصفحات وعين على الابنة المشاغبة، وتنقلت بين الساعة التي تعلن قرب انتهاء ولدها من درسه، واللعبة التي تتلهى بها ابنتها، وصفارات موكب الرئيس.. والشوارع المسدودة في وجه مرتاديها، وسيارات الأجرة التي التزمت القواعد، قد يكون للمرة الأولى والأخيرة.

ظهر ابنها عن بعد:

- جعان وتعبان عاوز أروح بسرعة!

وقفت تشير لسيارات الأجرة، عساها تقف واحدة منها.

محاولات يائسة في إيقاف إحداها.

ما أن سار الموكب وغادر، حتى عاد الشارع لفوضاه المعتادة!

واختفت القيادات التي كانت تملأ الشارع منذ قليل.

وتابعهم صغار الضباط.

ولم يتبق غير عسكري المرور، الذي فاض به الكيل.

openkan.com

يقف منذ الصباح يمنع المشاة والراكبين - على حد سواء - من اقتحام خلوة الشارع بضيفه.

مر الوقت ثقيلًا عليها وهي تحاول أن تتفق مع إحدى سيارات الأجرة.

هذا لا يقف لها، وهذا يرفض توصيلها للمكان المراد، وهي في حالة يرثى لها..

فالابنة الصغرى لا تنفك تترك يدها وتجري منها، والابن المتململ من طول اليوم الدراسي، أوشك على القعود أرضًا، وإلحاحهما عليها في الذهاب فاق حدود صبرها...

أخيرًا توقف أحد السائقين، فأسرعت في الركوب معه بطفليها، ما أن وافق على المكان، وسار لأمتار قليلة، حتى صاحت الصغرى باكية:

- ماما أنا نسيت شنطتي فيها لعبي، نسيتها مكان ما كنا واقفين.

لم تفكر، وجدت نفسها تقول للسائق في توسل من فضلك ثانية أحضر لها الحقيبة وأعود!!

نظر لها في المرآة نظرة تنم عن استيائه، وعن ضيقه بالأمر برمته.

توقف، ونزلت مسرعة من السيارة، تجري في اتجاه المكان الذي تركوه

obeikan.com

من ثوانٍ

في منتصف المسافة بين السيارة والرصيف، نظرت مرة واحدة للخلف.

تحاول أن تحدد ملامح السيارة التي تركت فيها طفليها للتو.

أسقط في يدها لفكرة أنها نسيت طفليها عالقين في التاكسي !!

لا لم أنسهما، تركتهم لأحضر للبنت حقيبتها.

ما العمل لو لامني أبوهما على إهمالي لحاجاتهما؟!

نعم !!

كأن أحدًا يحاورها.

ويتعجب من سطحية تفكيرها !

سيلومك لإهمالك حاجاتهما، وماذا سيفعل بكِ إن رحل بهما السائق؟!!

فزعت أكثر لفكرة الرحيل.

وللوسواس الذي لاحقها.

ماذا جرى لعقلي؟!

obeikan.com

هل فقدته عالقًا في زحام المسؤوليات؟

أم ماذا؟

أين عقلي؟

أين السيارة؟

أين الطفلان؟

كان عقلها يصرخ وصفاراته تغطي على صفارات عسكري المرور، الذي يتابع الشارع في تبلد من ثقل العمل، وطول الوقت عليه، وترك قياداته له يتابع ما كانوا يقومون به منذ دقائق.

شعرت لحظتها بأن الوقت توقف بها، وأن قدميها تسمرتا في الشارع المزدحم.

ولا تعرف أتعود للسيارة بسرعة؟

وتلحق بها.

لم تأخذ حتى أرقامها.

ماذا دهاني؟!

أنا حتى لا أعرف ملامح السائق.

obeikan.com

يا ربِ.

أكملت مسرعة نحو الحقيبة التي نسيتها الابنة..

وهي تلعن إهمالها!

وبكاءها وإلحاحها.

إن وجدت الحقيبة، سأجد الطفلين في انتظاري.

وجدت الحقيبة ملقاة كما تركتها ابنتها بجوار الرصيف.

التقطتها.

ولا تعرف كيف قطعت المسافة لسيارة الأجرة.

وركبت على الفور.

وصفعت باب السيارة خلفها.

كأنها تتأكد أنها ليست في حلم.

سكتت الابنة على الفور، حين رأت الحقيبة في يد أمها.

وبادرتها قائلة :

- "إنتي زعلانة مني عشان نسيتها؟".

obeikan.com

- أنا آسفة.

- هتقولي لبابا؟

- لا يوجد حد لإهمالك.

- كيف نسيتِها بالله عليكِ؟!!

- ماذا كنت سأفعل حين أقطع تلك المسافة ولا أجدها؟

"ما الذي ستفعلينه حين تعودين ولا تجدينني في انتظارك؟ ."

خُيل إليها أنها سمعت هذا الصوت منذ دقائق حين استوقفته وأخبرته عن وجهتها ووافق.

obeikan.com

"قد يحزن الأقوياء لمعاملتهم وكأن لا حق لهم في الضعف يومًا، لكن المحزن حقًا هو معاملة أحد كأنه قطعة زجاج نخشى عليها من اللمس".

obeikan.com

(٧)

الدمية

صممت أن تحتضن دميتها قبل أن تغفو، خافت عليها من ملمس الدمية الخشن، وخامتها التي حتمًا ستزعجها إن تقلبت أثناء نومها كالمعتاد.

سحبتُ الدمية منها في حذر وتأملتها .

ما فيها يجعلها تشعر بالاطمئنان حين تحتضنها؟

لكلٍ إدمانه وأمانه!

نختبئ خلف حصون واهية، نتخيل أنها تحمينا، حتى نفاجأ بمن يقتحم حصوننا، دون مقاومة أو تعب.

تسألني لمَ أبعدت تلك الدمية عنها؟

لأنكِ غافية. العبي معها حين تفيقين عزيزتي.

سأقص عليكِ قصة:

obeikan.com

كانت جدتي تنهانا عن أن نصادق دمانا، رغم أنها هي من صنعتها لنا، وعلمتنا كيفية صنعها! كانت تعاقبنا إن تحدثنا إليها. تقول في حزم لكل مقامٍ مقال. تلك الدمى للعب فقط. إن لاحظت تعلقنا بها.

اختفت تلك الدمى للأبد. لم نعرف مصيرها. قد تكون جدتي أعادتها سيرتها الأولى. قد تكون كسرتها قبل أن تكسرنا! أبعدتها قبل أن تؤذينا.

سألتني:

كيف تؤذينا جمادات يا أمي؟! نحن من نلعب بها.

لا يدري من يلعب بمن يا صغيرتي؟

هل تعلقت بكِ تلك الدمية ما يوازي تعلقك بها؟ بل أقل منه حتى؟ أنت تلعبين معها وتشاركينها حكاياتك وأسرارك، ولا تعرفين إن كانت تسمعك حقًا؟ يُزعجك فكرة أن يلعب بها غيرك حين لا تمانع هي. تُصرين على أن تحوليها لكائن حي يسمع ويدرك ويرد، فتسمعي صدى صوتك أنتِ.. كيف اختلطت الحقيقة بالسراب هكذا؟

ما المخرج من هذه المتاهة أو التيه؟

انتشلني صوتها الهامس.

obeikan.com

وما معنى التيه يا أمي؟

سامحيني أنا التي تهت وأدخلتك متاهتي. أجيب عن أسئلتك فتشفيني تلك الإجابات.

obeikan.com

"هل نعتقد أن الحياة غير عادلة أحيانًا؟

حسنًا، هي غير عادلة غالبًا...

ما ترجوه يسأمه غيرك ويزهده، وما تلقي به يتلقفه آخر...

نعتقد أن الجانب الآخر دائمًا أكثر خضرة، حتى ننتقل للضفة الأخرى فنكتشف أنها قاحلة".

obeikan.com

(٨)

السبع بحور

جمعتهما منطقة واحدة، جيرة لم تجعلهما ينفصلان عن بعضهما إلا وقت النوم، عاشا معًا قصص حب المراهقة، حين يسيران جنبًا لجنب تظهر "سوسو"، وتتميز حين تتوارى "سمسم" عن طيب خاطر.

"سمسم"، كانت تفعل هذا عن حب وارتباط لصيق بـ" سوسو"، كانت ترتاح في صحبتها وتجد فيها سلواها وتقابلًا لأفكارهما، نادرًا ما اختلفا.

مضت الأيام بحلوها ومرها، لم تنقطع صلة "سوسو" و"سمسم" مرا معًا بسنوات فرح وحزن، وصعود وهبوط في منحى الحياة.

حين تخطيا مرحلة المراهقة بكل ألاعيبها وهفواتها ودخلتا في طور الأنوثة، وبدأ العرسان في التقدم لها أو لـ"سوسو" إن أردنا الدقة.

في نفس توقيت زواج "سوسو"، كان الحظ بدأ يطرق باب "سمسم"

لتتزوج هي الأخرى، ولكن في مظاهر احتفال أقل، وافتقدت "سوسو" في هذا الوقت، نظرًا لأنها كانت حاملًا في شهورها الأولى.

ما إن تزوجت "سمسم"، حتى حملت هي الأخرى، وكما اعتادت الصديقتان مراجعة كل أمور حياتهما معًا راجعتا أعراض حملهما، ورغم خوف أم "سوسو" عليها من أي حركة أو مجهود كانت أم "سمسم" ترى أن الحركة بركة!

"سمسم"، كانت تسير وفق خطى "سوسو"، تذهب لذات الطبيب، ستلد في نفس المشفى، ناهيك عن ذوق البيت الذي حاكى ذوق "سوسو" بالضبط.

لأول مرة تجد "سمسم" نفسها غير قادرة على أن تقف بجوار صديقتها، حمل "سوسو" صعب ومشاكله كثيرة.

جاء ميعاد ولادتهما متوافقًا حتى في اليوم والساعة، غابت "سوسو" في غرفة العمليات تخضع لعملية قيصرية، كما اتفق طبيبها مع أمها قبلًا، ووضعت "سمسم" أربعة أجنة سليمة معافاة بدأوا على الفور في الرضاعة منها.

خرجت "سوسو" من غرفة العمليات، وكانت تحت تأثير المخدر، إلا أن

هذا لم يمنع عقلها الباطن من النداء بأسماء أبنائها، كما اختارتهم مع أمها مسبقًا.

كانت الأم تراقبها عن قرب مدارية دموعًا، ومرددة بعض الآيات الكريمة، تستعين بها على ما ستخبر به غاليتها بعد قليل.

للمرة الثانية على التوالي يحدث الحمل، وتعيش أعراضه كاملة، ويزيد عليها متاعب حمل تنجو منها مثيلاتها ويلدن بيسر كل مرة.

عويل وصراخ كانا في انتظار "سمسم"، حين اقتربت من غرفة "سوسو" لتطمئن عليها.

علمت من أمها أن الأجنة كلها ماتت - كما في السابق - وأن حالة "سوسو" لن تكون مستقرة حين تفيق على هذا الخبر المشؤوم.

استمرت "سوسو" على مراقبة "سمسم" أثناء إرضاعها أطفالها، كانت نظرة مشوبة بالحرمان وبالسكينة والحسرة على حالها، تعرف أن في عرفهن يعبرن بأبنائهن سبعة بحور، ولا يفرطن في أحدهم!

دخلت "سمسم" على أم "سوسو" تحمل في فمها أحد أطفالها ثم تركته بلا كلمة على سرير "سوسو"، ونظرت في عين الأم نظرة فهمتها الأخيرة، وانحنت تقبل "سمسم" في حنو وتغمرها قُبلًا ولا تصدق

ما تـراه، أتكون تركت أحـد قططها التي أنجبتها لقطتها الأثيـرة "سوسو"؟!

obeikan.com

"أما إن كنت لا بد غائبًا فخذ معك زادك من ذاكرة لا تبرحها، وادع لنا الأيام لترفق بحالنا، واملأ أواني الانتظار بفائض الصبر، وليكن سلامك انتهاءً لا ابتداءً، وامسح على جبين الحنين بأنامل السكينة، ولا ترسل لتطمئني فلن يكفيني إلا حضورك التام، ولتوصي بي أرقهم لحالي، فلِفُتات الذكريات ملمس جارح...".

وأخيرًا

"لا تغيب وإن كنت لا بد غائبًا فلا تُعلِمني، دع الليالي الطوال ترخي عليّ ستائرها فلا أراك...".

(٩)

مترو

أسرعتُ للحاق بمكان، لم يكن من داعٍ للعجلة، فالعربة فارغة وأول الخط، وأعرف يقينًا أنني سأجد مكانًا فلمَ القلق؟!

جاورني شاب لم يمكث سوى ثوانٍ وقام من فوره لرجل عجوز، حين صعد قبل أن يغلق المترو أبوابه بثوانٍ.

جلس في سكينة ينظر لمن حوله من اللاهثين.

كلهم شباب، يرتدون ملابس غريبة الشكل، وهواتف ذكية ونغمات مختلفة الإيقاع تعزف في نشاز أنشودة الفوضى.

ربنا يكون في عونكم!

يدعو لهم ويشملني في دعواته، رغم أني على الحافة بينه وبينهم، تجاوزت عمرهم بكثير وأصغره بكثير أيضًا.

لوهلة أحسست أني الفاصلة بين جملتين والرابطة بين زمنين.

واراهـم صوت المترو بعيدًا عن عيني حتى أصبح ما يصل منهم همهمات غير مفسرة.

على عصاه الخشبية يستند العجوز، وله فيها مآرب أخرى!

اليوم أنا أحوج ما أكون لسند أحدهم.

أفتقد عصا يسير بها عجوز مثله.

سحبتني الذكرى لعمق لا أجيد السباحة فيه، حاولت أن أفك خيوطها العنكبوتية قبل أن تحكم خناقها عليّ.

قلت في محاولة لاستعادة زمن الحاضر، هل سيكمل المترو إلى محطة .....؟!

التفت إليّ العجوز الهادئ، لا يخيل إليّ أنه يدري أين نحن أو في أي عام أصبحنا أو ما هي المحطة القادمة حتى؟!

نعم سيكمل، ولكن أمامك محطات كذا وكذا، وسمى لي المحطات وعددها!

شعره الفضي، ووجهه الأسمر، وأسنانه المفقودة ولا أمل في عودتها، ترتسم داخل مقلتي وتستحيل لآخر أعرفه.

obeikan.com

انتبهي لمحطتك، هي القادمة.. كان صوتهما ينبئني أنه سيغادر المحطة.

هممت لألحق به، لأخبره أني لا أريد الانتظار، أود مصاحبته في محطته تلك.

بعين نصف مفتوحة غاب أبيضها الناصع، وتماهت فيها دموع مع لون مصفر، مع كلمة وداع ارتسمت بوضوح داخل تلك المتاهة، فُتح له باب عبره دون أن يلتفت.

حين غادرت المترو، كان الغروب قد شد رحاله منذ قليل، فتنت لي السماء عن موعد رحيله.

رنوت ناحية السماء يغمرني شعور بالدفء، وأمان كنت افتقدته منذ شهور!

وعصا افتقدت سندها، وشعر فضي ذو وجه أسمر، وأسنان غائبة عن الوعي .

obeikan.com

لا تعفيني الذكريات من دفع ضريبتها كاملة، لا أبرح مكاني وكل الأماكن تذكرني بك..

اليوم أقفلت أزرار الذاكرة جيدًا، تجنبت الأغاني، الكلمات، والجمل المشتركة، لكن حيل الذاكرة الشقية لا تنتهي..

أمسكت بالجريدة أمارس هوايتي الأثيرة في حل الكلمات المتقاطعة، أو قل في التعثر في حلها، فلم أوفق مرة في جمع شتات الحروف، لتكون جملة مفيدة أبدًا..

تذكرت ذاك اليوم الذي أخبرتك فيه بأني سأبتعد طلبًا لسلامي النفسي ولتصالحي مع ذاتي الذي ما عرفته يومًا في حضورك..".

سألتني في شك ما أفعل الآن؟!

أجبتك بأني أحل الكلمات المتقاطعة، صممت أن تحلها معي، كان الفكاك منك أشبه بسلخ الوشم من جلد، أو سحب الدم الذي تجري فيه وتغييره بدم آخر لم تمسه، أشبه بوأد قلب، ثم الادعاء بأنك حي يرزق.

opeikan.com

كان السؤال عن لاعب كرة، أجبت في سرعة كما كنت تمرر إليّ تسديداتك في قوة وثبات، وتفوز دائمًا، لم أربح معك لعبة أو مناقشة، كنت إما أن أعترف بهزيمتي وانتصارك، وإما أن أنول شرف المحاولة والانسحاب، وها قد انسحبت.

انسحبت بعد أن اعتقدت طويلًا أني سأنهي هذه المباراة يومًا، وأني سأسدد في مرماك جُل أهدافي!!

كان تسللي مكشوفًا وكنت حكمًا وخصمًا في الوقت ذاته.

أذكر أني قرأت عبارة تقول:

(النقاشات العاطفية ينهزم فيها الأكثر عشقًا وليس الأقوى حُجة).

وأنت كانت حُججك واهية، لكني كنت عاشقة حتى الثمالة..

فاعتبرت كل هزائمي انتصارات.

obeikan.com

(١٠)

عباد الشمس

بمعطف أبيض ناصع وذقن حليق، وعوينات تضفي عليه مهابة ممتلئ بها، وقف وسط طلابه يشرح لهم أعراض المرض، بينما تنام المريضة مستسلمة لشرحه ونظرات الطلاب المتفحصة تحاول أن تختبئ من عيونهم المسلطة عليها، ويأبى كشاف النور، الذي سُلط على عينيها أن يخفي تلك الهالات السوداء والنظرة المنكسرة.

تمنت لحظتها أن تغيب عن الوعي أو يُغيبها هو، كما كان يفعل فيما سبق، لا تعرف متى تبدل به الحال، وأصر على أن تظل عيونها مفتوحة رغمًا على المشهد المتكرر.

تزداد طلبات الالتحاق بقسمه يومًا بعد يوم يرافقها انخفاض في عدد المرضى، الذين يخضعون لشرحه وفحصه.

شيئًا ما جعله ممغنطًا يجذب كل ما حوله في سهولة، وحين يبتعد يتفرقون بنفس السرعة، لا تدري هي متى مرضت؟ كانت سليمة تمامًا،

حين أتت له كانت تشكو من وجع في الرأس، عدته صداعًا لكنه مزعج، سيصف لها علاجًا تأخذه فترتاح وفقط.. إلا أنها أحبت ذاك الصداع الذي يقربها منه ويجعلها تراه باستمرار، زاد ترددها على عيادته، كما أنها كانت تسترق السمع لأي شكوى من صديقاتها أو أقاربها أو معارفها ليحظوا بزيارة الدكتور.

مُنصت لشكاواهم، يُكمل بدلًا عنهم بقية الأعراض التي تأتيهم، ولا يعرفون كيفية الخلاص، مواعيده مضبوطة، وتوقيتاته دقيقة.

ثمن الكشف الذي يتقاضاه بالنسبة لأقرانه معتدل، إلا أنه خبير في مجاله، لم تترك أحدًا من محيط معارفها لم يعُده!!

هي نفسها كانت تختلق الأسباب لتزوره، حتى وإن لم يكن هناك داعٍ لذلك، مجرد وجوده في مجال نظرها يريحها، نظرها الذي تندم على دقته اليوم، لماذا لم يضعف لتتماهى الرؤية ولا ترى تلك النظرات الشامتة والفضولية في عيون من يلتفون حول سريرها؟!

امتلأت العيادة عن آخرها بشهادات التقدير وصور لمقالات تحكي عن سفرياته ورحلاته، لحضور المؤتمرات المختلفة، وإنجازاته في مجاله الطبي.

بجوار شهادات التقدير، كانت تتوسط العيادة، وبالضبط خلف كرسيه شهادة تخرجه ممهورة بتقدير عام جيد جدًا.

قالت له يومًا:

تستحق امتياز في قراءة بين السطور، تقدره بعين الحب العمياء، وينظر لها من خلف عوينات ذات غطار براق طالما أخذها لمعانه لعالم آخر.

تدخل عليه السكرتيرة لتُذكره بميعاد محاضرة سيلقيها اليوم، يخيل لها أنها ملأت قِدرًا بماء ووضعته على الموقد حتى وصل لدرجة الغليان وألقت بها في قلب الوعاء، تهز رأسها طردًا للفكرة التي واتتها حالًا، ما زالت السكرتيرة تحادثه وتميل عليه أم أن هذا من بقية تخيلاتها؟!

تمقت كل من تقربه، ودت لو وأدت كل النساء في قلبه، أشعل فيها نارًا لا يطفئها ولا يتركها فتستحيل بفعل البعد لرماد!

تشعر أحيانًا أنها قاب قوسين أو أدنى من قلبه، ثم لا تلبث أن تجد نفسها أقرب للقطب الشمالي منه، يكشف سبر غور مرضاه بنفس مهارة توقيع الكشف عليهم، كأنه يقرأ من كتاب، لم يصف دواءً لم يشفها، أو يشفي أحدًا ممن تعرفهم، تسمع بأذنيها دعوات المرضى المنتظرين دورهم معها في الدخول إليه.

تنهدت بعد خروج سميرة السكرتيرة، كأن الأخيرة حجبت بعض هواء الغرفة، وأفرجت عنه فور مغادرتها، تتنفسه، تشعر أنه يجري في عروقها، كعادته عرف ممَ تشكو؟ وأنصت لها في اهتمام، من ينظر له الآن يجزم أنه عاشق وليس طبيبًا!!

هل يتقن الكذب لهذه الدرجة، أم أنها هي من تصدق كل ما تراه، وما الخداع البصري إن لم يوح لك بما ليس موجودًا ويقنعك به، مثل أن العيادة ما هي إلا قاعة سينما، وأنها تجلس الآن مع بطل الفيلم على مقاعد المشاهدين، تراه بجوارها وعلى شاشة العرض في آن واحد.

كثيرًا ما أتقن أكثر من دور، يلعب الآن دور العاشق المتيم الذي عثر على كنزه أخيرًا.

أخبرها بأنها كنزه قبلًا، ولا زالت تحفظ مناسبة الكلام ونظرة عينيه حين قالها، وتجنبها لتلك النظرات التي تعشقها وتتلاشى معها، لكن حين ينظر إليها مباشرة متجاوزًا مسافات وأزمنة تختبئ خجلًا وتتوارى منه، تذكر أنه أخبرها يومًا بأنه يسجل اسمها في الهاتف (عباد الشمس)!!

تذكرينني به، عاشق للشمس يدور معها حيث دارت، لكنك على العكس تتوارين خجلًا مني كلما تلاقت نظراتنا، هل كانت تتوارى منه أم كان

هو من يرغمها على الخضوع؟!!

تعلم الآن أن اختزال المسافات يؤدي لسرير المرض، وأن كل المتعة كانت تكمن في لعبة القط والفأر التي أجادا لعبها، حتى أصبحت مريضة به، وأصبح داءها ودواءها.

كان ينحسر بموجه عن شواطئي، مخلفًا وراءه مدًا وجزرًا لا نهائيًا، يضرب بعمقه صخر أيامي المقفرة، ويصفعها مرات قبل أن أعتاد هدوءه القاتل أيضًا، كأنه يقلبني على ضفتي، وأنا لا أعرف على وجه الدقة أفي أحضان هدوئه أرتمي أم لإعلانه الثورة عليّ أرفع راياتي البيضاء؟!

كنت أرتدي ملابسي على عجل في طريقي لعيادة الدكتور، حين مر بائع الجرائد تحت الشرفة مناديًا بصوت مبهم تبينت منه كلمات (دكتور- فضيحة – تزوير-شهادة)!!

أسمعه يوميًا ينادي بفضيحة جديدة، ولم أعر فضائحه أي انتباه، فتزيد مبيعاته وأملأ رأسي بكلام فارغ معنون بخط عريض جذاب، ثم مقال لا يمت للعنوان بصلة، يفصح بالكاد عن أول حرفين من اسم صاحب الفضيحة وصورة مشوشة له، لكن كلمة "دكتور"، أصبحت ركنًا

في زوايا حياتي جميعها منذ قلبها الدكتور رأسًا على عقب!!!

ابتعت الجريدة منه، وفضضت أوراقها على عجل، وقرأت العنوان الجذاب وأول حرفين والمقال المموه، ثم أكملت ملابسي لأتوجه لمشواري المهم.

على باب العيادة المغلق عُلقت لافتة واضح أنها كُتبت على عجل بخط رديء (مغلق للتحقيقات).

obeikan.com

"حتى الحقائق أصرت الجدة العجوز، المتخفية في هيئة ليل طويل، أنها نسبية..

الحب والكره، الإخلاص والخيانة، الصدق والكذب،

حتى الالتزام والابتذال.."

obeikan.com

(١١)

السُّبْحَةُ

تجهيزات الزفاف تجاوزت سرعة البرق، أشعر أني في حلم أو ما شابه، كأن ما يجري لغيري وليس لي.

متى التقينا؟

في العمل، كنا زملاء من فترة غير قصيرة، قليل الكلام وأنا كثيرته.

كيف سنعتاد بعضنا؟

بالعِشرة قالت أمي.

وأمي آخر من ينصح في موضوع الزواج، بينها وبينه ثأر قديم.

لا أعرف كيف تشجعني، بل وكانت تقلق على تأخيري في الزواج، كما تقول.

وفي ذات الوقت لم نشهد لها مع أبي حوارًا يخلو من مشاجرة.

obeikan.com

حفظنا مواعيد المعارك الحربية الدائرة باستمرار بينهما.

أول كل شهر مثلًا موسم لا يفوت إلا وقد أشهر كلاهما أسلحته في وجه الآخر.

في آخر الشهر، كنا نعد غنائم المنتصر، ونحصر خسائر المهزوم، ونكتب النتيجة لتسجل في دفاتر المشكلات.

أمي كانت دائمًا الفريق الرابح، والحصان الأسود في تلك المعارك.

كيف تستطيع أن تشن حربًا في الصباح من أقل الكلمات شأنًا، وتدير المعركة بأدوات لا تخطر على بال، ثم تستميلنا لفريقها، وإلا فنحن محرومون من حنانها، تدليلها، وكأننا ننعم بهما فعلًا!!

لكن التهديد بالحرمان يلعب على أوتار خوفنا المكسورة دائمًا.

وخشينا أنا وإخوتي أن يشمل العقاب الأكل والملبس، هنا نكون قضي علينا.

سرًا كنا نسرب لأبي الطعام، فمعاملة أمي لأسيرها يُعاقب عليها القانون، وتعدها منظمات حقوق الإنسان جريمة لا تغتفر!

لي أخوان وأخت غيري.

أنا الثانية بعد أخي الكبير.

قسمة العدل قسمها القدر في ذرية أبي!

بنتان وولدان.

في الحقيقة كانا ولدين وشبه بنتين.

لا تكاد أمي تأتي على ذكر اسمي أنا أو أختي، وغالبًا ما كانت تنسانا في عد مكاسبها من هذه الزيجة، وكثيرًا ما تكلمت عن المستقبل، ونحن في مكان آخر، في عائلات أزواجنا كما تقول، تردد في سرها وعلانيتها قولًا غريبًا:

ما دامت البنت اتجوزت تبقى تبع أهل جوزها، وإن جت تبقى ضيفة!

كنت أسمع ولا أعلق، وأحيانًا أضحك من هذا الكلام.

معقول أعود كـ(ضيفة)!

ثم أكتم ضحكاتي، فعلًا حين أسترجع أني أنا وأختي نعامل كضيفين منذ ولدنا!

فالهاتف لا حق لنا في استعماله، وإن ضربت إحدانا رقمًا كان على رأسها رقيب، إما أمي أو أحد قواتها الخاصة، أحد الأخوين.

أخوكِ نايم.

هذه الجملة تعني:

لا ترفعي صوتك، لا تفتحي بابًا، أغلقي التلفاز، لا لا لا لا..

ضع بعد لا كل ما تتخيله.

اليوم رافقتني صديقتي لشراء الستائر، لأن أمي رفضت بحجة أنها تريد أن نشتري السجاد أولًا، وحين أخبرتها بأن الستائر ستأخذ مني وقتًا أطول في اختيار الألوان وتوفيقها مع ألوان الأثاث وخلافه...

قالت في حدة: "طول عمركم مبتسمعوش كلامي، اشمعنى هتسمعيه دلوقتي خليكي ماشية بدماغك كده".

هكذا أغلقت أمي باب المناقشة في هذا الموضوع، وأغلقت أنا باب المنزل خلفي ونزلت للقاء صديقتي.

تفتكري يا سهى أنا متجنية على أمي؟

أمك طول عمرها شخصية قوية ومتسلطة، وأي خيط هيفرط منها هتقطعه قبل ما يسحب معاه بقية البكرة.

ركزي في جوازك وبيتك وأديكي ماشية وهترتاحي.

obeikan.com

من يضمن الراحة؟

يقولون إن الزواج شركة، أحاول أن أصدقهم، لكني مثلًا لا أستطيع أن أقدم للعمل في شركات أخرى إن لم يعجبني الحال؟

كيف أكون صاحبة شركة ومشاركة فيها بالنصف، وعاملة فيها في الوقت ذاته؟

تقول صديقتي عالية إنها شركة بنسبة الثلث والثلثين، أو ٧٠٪ إلى ٣٠٪ وليست النصف بالنصف.

أنا أنتقل من بيت أمي كضيفة، لأحل على بيت زوجي شريكة بأقل من النصف.

متى سأدير شركتي الخاصة؟

وإن كان الأمر كذلك، كيف استطاعت أمي أن تستأثر بالشركة وحدها؟

وأعفت أبي من القيادة، وجهزت أخواي للقيام بمهامه، وهو لا يزال على قيد الحياة!

عدت لُنزل ضيافتي، وجدت جدتي لا تزال تقرأ وردها وتسبح وتستغفر.

أشد ما أحتاج أنا لصوتها الرخيم، يلقي على مسامعي كلمات تهدئ

obeikan.com

روعي،

كلما أمعنت في التفكير وجدتني أفكر في الاستقالة قبل التعيين.

انسحاب.. هكذا يكون اسمه مناسبًا.

قالت جدتي الكلمة وكأنها تقرأ ما يدور بعقلي الآن.

على وجه جدتي حفرت آثار الزمن في كل خلجة من خلجاتها نفقًا، وفي مفرق رأسها غزاها الشيب منذ زمن فلم تقاومه، تركت له رأسها يعيث فيه كما يشاء.

أرتاح فور النظر لها، والجلوس معها تصفية لذهني وقلبي من كل ما شابهما.

وضعت رأسي في حجرها واستسلمت للمسات يديها الواهنة الرقيقة.

لا أعرف ما أنا مقبلة عليه، لا أريد وصايا أو نصائح ولا تطمينات، لأني أشعر معها بالخوف أكثر.

- عارفة عمر السبحة دي أد إيه؟

- كان سؤال جدتي.

- لا أعرف يا جدتي.

obeikan.com

- لم أسأل نفسي مرة، لكني لم أتخيل يديك بدون السُّبْحَةُ.

وأنا صغيرة تخيلت أننا حين نكبر مثلك ستنمو لأصابعنا سبحة!

ولم أتخيل أن أرى كبارًا بدون سُّبْحَةُ.

لكني كبرت لأجد يد أمي تخلو منها.

ويد أبي تحمل سبحة في يوم الجمعة والأعياد.

عمر سبحتي من يوم جوازي يا منة.

أما اتجوزت كان في رأسي كل أسئلتك...

ومكانش حد هيجاوبني او هيخليني أسألها حتى.

زمن غير الزمن!!

لكن تفضل الأسئلة واحدة.

- جدك كان شديد أوي متبصيش لأبوكي!

- معرفش مخدش منه حاجة ليه؟

- تجبرني على الابتسام في قمة قلقي.

- يعنى جدي كان شديد وكان عاجبك؟!

obeikan.com

- آه كان عاجبني، قاسيت منه لكن من جوايا كنت مبسوطة بأنه صلب وميلينش، ومش كل ما أقوله على حاجة يوافق أو يضعف قدام تهديد.

- مش بتقولوا على الحكام اللي عاوزينهم دلوقتي الديكتاتور العادل؟

- هو جدك كان كده.

- يمكن وأنا صغيرة كنت بخاف من بطشه، ومن صوته العالي ومن عقابه اللي مبيرجعش فيه.

السبحة دي كانت هدية من أبويا أما رجع من الحجاز.

أصريت أشيلها في جهازي!

حاجتنا كانت بسيطة.

قلت هعلقها في طرف السرير أو أوكرة الدولاب.

لكن بعد أول علقة خدتها من جدك لأني رحت أزور أمي من غير ما أقوله الصبح.

مسكت السبحة من كتر الوجع، وقعدت أدوس على حباتها واحدة واحدة، ولقتني بقول ربنا يسامحه لا ياخده لا يهديه لا يعفرته لحد ما هديت.

ضحكت من كلامها وبساطته، فعلًا الجلوس معها راحة.

obeikan.com

كل مرة كنت باخد فيها علقة، كنت أمسك السبحة وأقول نفس الكلام..

لا عمري اشتكيت، ولا طلعت سري بره، ولا سألت ولا اتسألت.

بعد كام سنة جواز عرفت حاجة مهمة...

إن الجواز عامل زي السبحة.

٣٣ حباية، كل ١٠ حبايات فيه عقدة.

أهو من ده على ده.

كام يوم حلوين، وبعدها عقدة، وبعدها كام يوم كويسين، وبعدها عقدة وتنفك.

كل مرة كانت العقدة بتحصل كنت بقول مش هتنحل، بس كانت بتنحل مش بشطارتي ولا عقله. لكن كان ربنا كاتبلنا نصيب. ارضي بنصيبك..

متاخديش سبحتي، ولا تسبحي على إيدك زي أمك، ولا تمسكي سبحة رجالي زي بتاعة أبوكي اللي بيمسكها في الجمعة والمواسم.

لاحقًا حين خلع خاتم الخطوبة من يدي اليمنى ليلبسني إياه في اليسرى، كنت مشغولة بشيء ما، سلسلة، ميدالية، شكل مختلف لسُّبْحَة قديمة.

obeikan.com

(١٢)

امرآتان

"من قال إن الكلمات فقط المتقاطعة.. الأيام متقاطعة والإحداث.

المواقف والشخصيات. كل الخطوط تتداخل وتتشابك، وتتقاطع بشكل أو بآخر".

أدهش كيف تتلاقى خطوطنا مع أني أبعد ما أكون عن ذاك الطريق، كلما فضضت تشابك إحدى العقد علقت في أخرى، ووجدتك سبقتني إليها، يا آخر من توقعت لقاءها.. يأبى القدر إلا أن يكتب لكلتانا نفس الطريق.

تلك الرشيقة ممشوقة القوام، تتبع حمية وتنتعل كعبًا عاليًا، تسير واثقة من خطواتها تلفت لها الأنظار وترمقها العيون بإعجاب صدف، وأن التقت تلك السيدة البسيطة ممتلئة القوام والأعباء تسير بتؤدة في طريقها.

obeikan.com

تقاطعت طرقهما وتشابكت خطوطهما.

كيف احتفظت كل منهما بتوازنها؟

ذات الكعب العالي، وذات الحِمل الثقيل.

إحداهما تتمايل بخطواتها على الأرض، حين تتمايل أحمال الأخرى فوق رأسها.

لا تعثرت هذه، ولا تلك.

تتخفف واحدة من حمل لتحلق، في حين تتشبث الأخرى وتلصق حِملها برأسها عساه لا يقع.

كيف تلاقت كلتاهما؟

وكيف نظرتا لبعضهما في صمت؟

في حين تبعد كل منهما عن مصير الأخرى.

يجمعهما طريق واحد ونهاية مختلفة.

obeikan.com

(١٣)

(التاجر)

عندما يتبادل بائع الخضروات مقعده مع الصياد، كلاهما يصبر، لكن صبر عن صبر وحده يصنع الفرق.

صبر بائع الخضروات على مشتري سلعته، هو على أتم استعداد للفصال والمماطلة، وكما علمته مهنته، كلما نضجت الخضر زاد عليها الطلب، يقول بمنتهى الجرأة ردًا على سائلة:

بكم هذه؟

وهو صامت.

كلاهما مشترٍ

هو يعاين سلعة من نوع آخر حين تقف هي منتظرة الرد.

ويلكزه أحدهما ألا ترد؟

فيجيب بصفاقة: دعها تنتظر حتى تنضج.

obeikan.com

أين أنت من صياد لا يتكلم حتى لا يضيع بكلمات حمقاء كنزه؟

يصبر ويصمت ولا يدع السمك ينتظر.

وإنما يراوده مرة بعد أخرى.

وتهرب منه وتعود ثانية ولا يكثر حديثه.

بل حتى لا يتحرك حركة واحدة.

وفي لحظة خاطفة، ودون أن تشعر تقع هي في شباكه..

بعد أن تكون نضجت، وهي بعد لم تلمس النار.

obeikan.com

(١٤)

نفايات

صباح رائق، رُغم أصوات الأبواق الصاخبة حولي.

عبرت الشارع، رغم أنف مرتاديه.

سرت بمحاذاة الرصيف، على يساري تقف عربة نقل تُفرغ وتحمل شيئًا ما، وعلى يميني مرقت سيارة فلامست يدي بالكاد لم أقع.

انشغلت في حفظ توازني، حين مرت من فوق رأسي زجاجة فارغة أعقبتها بضع أوراق تطير في الهواء مع أشياء لم يتضح شكلها، لكن رائحتها أغنت عن السؤال.

تبين لي الآن أن العربة على يساري تجمع النفايات.

أكملت سيري محافظًا على نفس المسافة وخط السير.

قال المار بجانبي شيئًا بلهجة شبه مؤنبة من قبيل:

ألا تبتعد، أو متى تبتعد أو ماذا تنتظر؟!!

obeikan.com

كلها أدوات استفهام مناسبة وتحمل نبرات لوم مستحقة.

مع ذلك سرت متبعًا خطًا لا يحيد، هكذا رُسم الطريق، وأنا أعيد عليه وأؤكد الرسم.

من داخل كابينة القيادة، هم السائق أن يقدم شبه اعتذار، أحجم عنه حين رآني لم أمتعض أو أعترض.

سرنا في طريقين متوازيين، محافظين على مسافة تسمح بإلقاء نفاياته دون اعتذار منه ودون غضب مني.

obeikan.com

(١٥)

السمسار

قطع حديثه معها مستقبلًا مكالمة عمل، قائمة من المساومات والمفاوضات، كتلك التي خاضها معها مقنعًا إياها أنه لا اهتمام يفوق اهتمامه بها، مقولة قوضتها استقباله مكالمة عمل، لم يجفل أو يهتز صوته، واضعًا فاصلة بين مكالمتين أبعد ما يكونان عن التماثل.

هكذا هو يفصل بنصل سكين حاد فيشطر الاهتمام شطرين متساويين، ألم يعِ درس العدل كأول شرط لتعدد نسائه، اهتماماته، يعدل بينهما وعدله هذا يظلمهما!!

ضغط زر معاودة الاتصال بها آمرًا إياها بأن تخفض صوت التلفاز جانبه، بالرغم من صدوح الأغاني التي تحيطه من كل جانب، هي المسؤولة عن هدوئه وسلامه، فلتخفض صوت التلفاز وصوتها وترهف السمع لكلماته، أعلن الهاتف عن مكالمة ثانية، ففورًا قطع حديثهما للمرة الثانية على التوالي، مشددًا عليها ألا تغلق الخط.

لم تؤتِ في حبه سوى النزر اليسير، هو عندها مبرأ من كل نقص، صادق حتى لو ثبت العكس، يبتلعون كلماتهم إن نظرت لهم إلا هو، إن رميتموه بالكذب فهو عندي من أُكره، ولو وصفتموه بالغدر ففاتنو الحي شيمتهم الغدر.

عالقة هي في سلك تليفون يخنق ما تبقى لها من أمل في حب تعيشه، قبل أن تغادر محطة المشاعر، لتجلس في صالون بيتهم مع غريب يجب أن تعتاد عليه في مقابلة أو اثنتين على الأكثر حتى يكملا معًا بقية مشوار حياتهما.

تعلمت ألا تشك في إخلاصه ولا تختبره ولا تسأله بل، وحتى إن اعترف بنفسه أن تنكر اعترافه هذا.

احتياجك لشعور ما، يجعلك تصدقه حتى وإن كان زائفًا حتى وإن كان خطأ.

تعيش على مكالماته لها كلما أراد أو أرادت هي وكان متاحًا، تقتات على اهتمامه المسلوق، لا يسمن ولا يغني ولكنه يقيم أودها، فلو خضع الهوى للمنطق ما هوى أحد.

تعلم أن الحب فرصة نادرة الحدوث، وقد أسعدها القدر وأهداها الحب

obeikan.com

فلتكن على قدر المسؤولية وترضى بالهدية وتُرضي الهادي.

كانت حيلها النفسية التي تستبقيه بها لا تنضب، ماهرة هي في حبك تبريرات له وخلق اعتذارات بدلًا عنه، وتمهيد مسبق لقبولها بتلك التبريرات.

حتى اليوم حين تأخر اتصاله عنها، مهدت لنفسها مسبقًا أنه مشغول، سيتصل عندما يستطيع.

حدث مرارًا أن تأخر، لكنه أتى.

في شرفة منزلهم حيث تنتظر، كان عمال الصيانة منهمكين في إصلاح عطل ما، قد تكون المياه قد انقطعت أو الكهرباء، لكن الأجهزة تعمل، لا يهم ما يحدث للعالم، فالعالم يحتل قلبها وسمعها وبصرها، الذي لم يمتد ليلمح السلك المقطوع والعالق في الهواء.

obeikan.com

(١٦)

حرية

التقطت إحدى البلوزات التي ابتاعتها مؤخرًا، ارتدتها على عجل، بينما يراقبها زوجها في المرآة، من بعيد تلمح نظرة اعتراض، لم تفهم على الفور سر الاعتراض.

أحكمت إغلاق أزرارها، وانتقت حجابًا يليق بها، انهمكت في لف الإيشارب، ولم تلحظ أنه اقترب منها، وقد اصطبغت عينه بلون الغضب الذي تعرفه تمامًا.

لم تجرؤ على طرح السؤال، أحست أن الأمر يخص ملابسها، لا تعرف على وجه التحديد أيهم يزعجه الآن؟!

البلوزة، طولها مناسب، ومتسعة، حقًا اكتسبت بعض الوزن الزائد مؤخرًا لكن ليس للحد الذي يغضبه هكذا.. لعله الإيشارب لكني أربطه كما يطلب مني بالضبط.

obeikan.com

بدأ التوتر يسكنها، مع أنها قبل قليل كانت تكاد تقفز فرحًا، ولا تصدق أنها متجهة إلى التحرير.

مر عام على ثورة يناير، وكل ما فيها وحولها تغير، دبت فيها الروح بعد موات سنوات، واستسلام للروتين اليومي، وطلبات البيت والزوج والأولاد، وخروجات الصديقات وجلسات النميمة المعتادة التي يحتل فيها الرجل وسيرته معظمها.

لاحقتها نظراته الغاضبة، وأخيرًا تكلم الغاضب بصوت هدر في أنحاء الغرفة:

أرى أن ترتدي بلوزة أخرى، هذه ضيقة وقصيرة كما ترين ودون أن تغضبي كالعادة.

دون أن تغضبي: جملة تقبض على غضبك وتقيده دون حتى سماع دفاعه. باختصار أنت ستفعل ما تريد ومن دون اعتراض!!

لكني أراها مناسبة وارتديتها قبلًا ولم تعترض؟ وأغلب ملابسي تماثلها تمامًا..

وأنا لا أوافق على باقي ملابسك وعندما أعترض تغضبين، وما غضبي إلا خوف عليكم، لا أريد أن تتعرضوا لمضايقات في الشارع أو

obeikan.com

المواصلات..

أحفظ الحوار وأعرف مآله إما أو، إما النصر أو الهزيمة، لا مناطق وسطى، لا حلول تطرح، إما قبول واستسلام أو رفض وخصام.

لم يكن أول الجدالات ولن يكون آخرها، تذكر أيام الخطبة الأولى وأول الخلافات التي جعلتهم يعودون من منتصف الطريق وينهون نزهتهم.

بعدها اتفقوا على اللقاء في منزل الأسرة في مواعيد محددة، وافقت، وإن تمنت سرًا أن تخرج معه وتسير لجواره ويمسك بيدها وتتشابك أصابعهم كما ترى في الأفلام، إلا أنها تقاطعت بدلًا عن تعانقها.

وحدث أن تشاجرا للمرة الثانية بعد زواجهما حديثًا أثناء ذهابهما لبيت أسرتها، فلقد رأى أن حجابها كشف جزءًا من عنقها لم تشعر إلا وهو يشد لها الحجاب على صدرها فعلا صوتها تسأله ما يفعل؟ فرد بصوت أعلى جعلها تكمل بقية الطريق بكاء، وتقضي بقية اليوم هناك صامتة.

وتوالت المواقف، يوم فرح أخيه، يوم عودته من السفر، أثناء سفرهما للمصيف، وغيرها الكثير...

جزء من حلها للمواقف الهروب منها، تجيد الهروب وإدارة حوار داخلي، تمثل فيه بشخصها وهو أمامها تدافع وتهاجم ويرد وترد، وتنهي الحوار

كما يرضيها لا كما ينتهي في الحقيقة.

حقيقة واحدة تحفظها عن ظهر قلب هو أفضل من غيره، كما تقول أمها:

"اللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش".

كل الرجالة كده!

لو لاقيتي الحنين هتلاقيه شخصيته ضعيفة.

لو كان دمه خفيف، ولا حلو شويتين هيبقى خاين وبتاع ستات!

وهكذا عقدت لها أمها المقارنات، وعلقتها هي في رأسها ترددها حين يتراءى لها التمرد أو الثورة عليه.

خلعت عنها ملابسها وارتدت ملابس البيت، وعادت للمطبخ تفكر فيما ستطهوه اليوم.

في الصباح كانت الشمس تحتل أرجاء البيت، انشغلت في ترتيب ما ترتب على جدال الأمس من كركبة أصابتها بالصداع والعجز عن التفكير في أي شيء.

سمعت حركة ابنتها خارجًا، تستعد للنزول.

obeikan.com

- فطرتي يا "رنا"؟

- مش هلحق، يا دوب أخلص لبس وأنزل على طول.

قطع حديثهما القادم من غرفة النوم:

- صباح الخير يا بابا.

- صباح النور، ولم يضف!

لم تجد في نفسها القابلية لتنظر له.

ولا أن تقف في نفس المكان.

انسحبت من الحوار دون أن يفوتها نظرته المعاتبة لها.

أكملت ترتيب ما بدأته منذ قليل.

وخلفها يتحادث الاثنان إلى أن سمعت صوتيهما بوضوح.

بابا أنا مش شايفة إني لابسة حاجة غلط.

لا مش هغيرها!

آسفة، بس أنا لازم أنزل ومفيش وقت، ولا فيه سبب إني أضيع وقت في تغيير حاجة، أنت شايفها غلط وأنا مش شايفاها كده.

obeikan.com

أنا اللي هتحاسب عليكم.

إنتوا مش عاوزين تفهموا!!

لمعت عينا الابنة بدموع، في طريقها لغرفتها مرت بأمها ونفس النظرة المعاتبة.

لم يتبادر لذهني وأنا في طريقي لبيته أن كل هذه الاختلافات سيرثها أبناؤنا.

ما ذنبهم في اختيار وجدته أنا المناسب أو الوحيد؟

التقته في منتصف الطرقة المؤدية لغرف الشقة.

رغمًا عنها وجدت صوتها واضحًا ومرتفعًا عكس ما أرادت ونفذت طوال عشرتها معه.

بنتك بتعمل اللي إنت عاوزه عشان بتحبك، بلاش تخليها تعمله خوف.

أنا خلاص كبرت وعدى وقت إني أفكر ألبس إيه وأصمم وأنفذ كلامي، لكن هي في أول الطريق.

بعد كام سنة هتلاقيها في بيت حد تاني بيتحكم فيها بنفس الطريقة فمش هيبقى تحكم في كل حتة!

opeikan.com

ده غير إن أنا وأنت شايفين إنها مبتعملش حاجة غلط، ولا لبسها ملفت، ولا اللي بتطلبه مستحيل.

إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

أدار الكلام في رأسه لبضع دقائق، كان وجهه يطفح بالاعتراض لكنه بدأ يحسبها، ستفلت الأمور من يده بالكلية.

لن يتحمل غضب ابنته وزوجته معًا، خاصة ابنته، لها مكانة خاصة، خوفه عليها جعل منه متسلطًا على كل أمور حياتها، دون أن يلتفت لما تطلبه هي أو تريده.

فارق العمر، والجيل والاهتمامات شكل حائط سد بينهما.

نعم تحبه وتحترمه، لكنها تريد أن تستقل، أن تعلق على حائط غرفتها صورة ممثل تعشق أفلامه!

تضيف بعض الحمرة على وجنتيها، تربط حجابها بشكل عصري، تتعلم العزف على الكمان والرسم.

كلها أمور بعضها مرفوض تمامًا، بناء على كلماته المتعلقة دائمًا بالحلال والحرام والبعض الآخر يراه مضيعة للوقت.

obeikan.com

مر اليوم دون أن يحدث أي صدام أو تلاقٍ بين الثلاثة.

"رنا" لم تغادر غرفتها منذ الصباح، منذ أغلقت عليها بابها وسمحت لأنهار الدموع أن تسيل كما تشاء..

والأم عادت لمطبخها تعيد الحوار الذي دار بينها وبين زوجها، وتحاول أن تسيطر على زحمة أفكارها ولومها المستمر لنفسها على الاختيار الذي لون الأيام باللون القاتم هكذا.

تذكر أنها صبرت على تحكماته التي أملاها مرة بالترغيب ومرة بالترهيب، سياسة العصا والجزرة.

في مكتبه كان يفكر في أنه سيمنح "رنا" بعض الحرية، سيبتاع لها صورة الممثل لتلصقها على خزانتها، ويسمح لها بأن تخرج مع صديقاتها، لكن سأتابع ملابسها بنفسي.

سأظل أحميها حتى أموت، لن أتركها لعقول صغيرة تعبث بها أو لأمها المتراخية المتهاونة.

في المساء جلس ثلاثتهم يشاهدون مقاطع من الخطاب الشهير، الذي ألقاه مبارك قبل تنحيه بساعات.

تبتسم الأم في سخرية من تشبث الرجل حتى الساعات الأخيرة بآرائه

obeikan.com

العقيمة، دون أن يعي أن الأمور انفلتت من بين يديه تمامًا!!

علقت "رنا": لم يفهم أن هذا الجيل مختلف عمن حكمهم سابقًا، كان يظن نفسه سيظل يحكم جيل الألفية بنفس العقل والأدوات!!

حين انسحب هو إلى غرفته، مخفيًا الملصق الذي ابتاعه، وابتلع الكلمات التي كان سيلقيها عليهم.

obeikan.com

(١٧)

(هذه ليلتي)

صفعت الباب خلفي، وأنا لا أعرف إلى أين أذهب، وإلى من أشكو هذه الساعة من الليل، ضقت ذرعًا بنفس المناقشات والكلام الذي لا طائل منه.

كم مرة طلبت إليه أن نتحادث وجهًا لوجه، لا وجهًا لهاتف، أو عينًا لتلفاز أو أذنًا لأي كان!!

بصوت محايد يخبرني أنه يسمعني.

أين ماجدة الرومي الآن؟ بل أين نزار؟ لأغضب عليه واتهمه أنه ضللنا نحن النساء، حين قال إن الرجل قد يعد امرأته تحفته وتساوي آلاف النجمات!!

بين مطرقة أهلي، التي تدق بنصائح في ضرورة طاعة الزوج، وسندان سماع كلماته وإن لم يقلها أقف غاضبة حائرة.

obeikan.com

أشرت بيدي لأول سيارة أجرة مرت بي وألقيت بنفسي وهمي وضيقي على الكنبة الخلفية للعربة.

جاء صوت المذيعة عذبًا رقراقًا ينبئ عن برنامج لا يقل عذوبة.

كنت أحب موسيقى "عمار الشريعي" وصوته الرخيم ومقدمة برنامجه، منذ ودعنا ونحن نغوص في بحر من التيه بدلًا عن نغماته الرقراقة.

أعزائي المستمعين برنامجنا اسمه (على النوتة) وفكرته إذاعة المقدمة الموسيقية للأغنيات..

وسنبدأ بمقدمات أغنيات أم كلثوم سينساب عبر الأثير مقدمة موسيقية حصرية واستثنائية..

كل ما في هذه السيدة استثنائي، منبتها ونشأتها، ثم تغيير مجالها دون أن تحتاج لاستشارة تنمية بشرية، ولا أن تردد ليل نهار أنها ستظل تبحث عن حلمها دون يأس، بالفعل كانت كذلك!

موهبة طغت على كل ما عداها.

أتخيلها وإن آثرت حياة الريف والهدوء.

تهدهد كل ليلة أبناءها وأحفادها بأغانيها العذبة.

obeikan.com

كانت ستحكي لهم بصوتها الرخيم حكايات ألف ليلة وليلة، وتأتي على سيرة الحب وتذيقهم حلاوة الحب حبة حبة، كما قالت.

تلك التي سارت خلف موهبتها، فسار الجميع خلفها!

كان يجب أن تحتكر المقدمات الموسيقية الطويلة، لتتناسب مع مشوارها الطويل وعثراته.

راقتني المقدمة، التي بثتها الإذاعة، وراقت المستمعين، فقطعت المذيعة الموسيقى لدقائق تعلن فيها:

إنهم سيذيعون جزءًا أطول مصحوبًا بجزء من الأغنية.

يا لجمال الأداء حين تستزيد!!

حين لا تمل طول المقدمة، بل تطلب أن تسمع المزيد.

ليست هي من تعزف، لكن هي من تُلهِم.

من تقود وتشير، وتقول كل ما تريد دون ضعف أو مواربة.

لا تضرب الأرض بقدميها غاضبة، وهي تعلن أنها ستذيقه من الأمور ويلاتها..

بل ترعبه أكثر حين تتركه للزمن.

obeikan.com

لا عتاب ولا شجن.

أي عذاب ستمارسه عليه؟!

كأن عتابها له في حد ذاته أمنيته ورابع مستحيلاتها.

كل شيء تآمر الليلة.

الليلة ممطرة، وشوارع القاهرة رائقة على غير العادة!

لا زحام، ولا أبواق تصرخ، ولا شتائم تنهال على المقدمة الموسيقية فترديها قتلًا.

روح السيدة كانت حاضرة بكل تفاصيلها.

بمنديل يدها الشفاف، ونظرة عينها الثاقبة، وصوتها العذب، وحضورها الألق..

وهي تشدو.

وهو العمر إيه غير ليلة زي الليلة!!

وطال مشوارك سيدتي.

وتعددت طرقنا ومشاورينا.

obeikan.com

نلتمس الصبر منك.

أنتِ يا أول من وضعتِ للصبر حدودًا.

كان عليّ أن أغادر تلك المقدمة وأكمل طريقي.

علا صوت الكاسيت في سيارة الميكروباص هذه المرة.

جاء صوت عمرو دياب لينهي الليلة بسلاسة.

ودون مقدمات طويلة..

انساب صوته مع سني عمرنا، التي عرفته صوتًا وصورة ولم يكن مجرد أسطورة، نسمع عنها ممن سبقونا.

جاء ليعيد لليلة بعض أضوائها المنسحبة بخجل، تاركة للمطر أن يمارس هوايته الأثيرة في مفاجأتنا.

مطر في أواخر شتاء لم يمطر كثيرًا.

ولكن كيف للشتاء أن يودع هكذا دون أثر أو بصمة؟

وكيف للمطر ألا يلهو كما يلهو دائمًا؟

عمرو دياب بشبابه الدائم، يقفز على المسرح شابًا ويهبط درجات سلم بوستر ألبومه الجديد بخفة شاب، ورصانة أربعيني، رغم أنه تخطاها.

obeikan.com

لا زال صوته أملًا ولا زالت خطواته ثقة، ولا زال يخفي أكثر مما يبدي!!

ولا زال أيقونة لجيل كامل.

ليلة اكتست فيها شوارع القاهرة بالمطر، وتناغم مطرها مع أضوائها مع صوت مطربتها الأثيرة.

كان يجب أن تختتم بأداء عمرو دياب السهل الممتنع..

وهو يردد:

الليلة دي سيبني أقول وأحب فيك"

وانسى كل الدنيا دي.. وغمض عنيك".

وأغمضت عيني...

opeikan.com

(١٨)

مربع صفر

الخميس بجوار بائع الجرائد، وقفت لتبتاع جريدتها المفضلة "الأهرام"، ستلقي نظرة على عجل على الصفحات الأولى، ثم تنفرد بأثيرتها صفحة الكلمات المتقاطعة، وتغتصب عقلها علها تنجب بعض المعلومات الجديدة.

عادة لم تثنها عن فعلها، كونها لا تجيد حل الكلمات المتقاطعة، بل كانت تتعهد لنفسها أنها ستتحسن مرة تلو الأخرى.

فردت الجريدة المطوية أمامها، بينما في الخلفية في مكان ما في رأسها تعزف فرقة ما سيمفونية الاستمتاع لأقصى درجة.

قرأت بعض الأخبار العابرة واستوقفها قليلًا خبر انتحار أحدهم يأسًا من الفقر وضيق ذات الحال.

تدلى الخبر من الجريدة مذيلًا بدعاء للمنتحر على استحياء، وتحليلات

من بعض علماء النفس والشيوخ الذين أجمعوا على جرم ما فعله.

بعد أن أوهمت نفسها بالتعب الذي أصابها جراء التفكير المتواصل في الحلول، استرخت قليلًا لترتاح من عناء ملء المربعات الصغيرة بكلمات كثيرة وصعبة المنال.

على صفحة "فيس بوك"، انتشر فيديو معنون بـ:

(عيادات للانتحار في سويسرا واللحظات الأخيرة لأحد الزبائن(

جذبها العنوان، وعلى الرغم من مقتها ورعبها من رؤية مشهد الموت، إلا أنها أصرت على أن تشاهد ماذا تفعل هذه العيادات؟ هل تنقذ المنتحرين قبل أن يلفظوا الأنفاس الأخيرة؟ أو تساعدهم على قتل الفكرة في مهدها!!

إلا أن محتوى الفيديو، كان مغايرًا تمامًا، بالفعل ذهب أحدهم بإرادته وأهله وأصحابه إلى عيادة تريحه، ثم تذكرت ذاك المسكين المنتحر صباحًا وحده من التعب، وكلمات علماء النفس والشيوخ.

ألهتها المربعات الأثيرة، لديها بقية اليوم، إلى أن حل المساء وجلست لتشاهد آخر الأخبار على شاشة التلفاز، ظهرت مقدمة أحد البرامج تُحدث الناس عن آخر خطوط الموضة والجمال.

obeikan.com

ابتسمت، فقد وجدت ضالتها أخيرًا، مذيعة جميلة وتتحدث عن الجمال، ويوم ختامه مسك عكس ما أتت بدايته.

أنهت المذيعة الفقرة بأغرب الأخبار، التي نتجت عن عمليات التجميل واتباع أحدث خطوط الموضة.

انتحار سيدة وطفلها بسبب سخرية زوجها من أنفها))

عادت للكلمات المتقاطعة، مهما كانت ملغزة، فهي في النهاية لها حل لو عجزت عن الحل نهائيًا ستبتاع جريدة الأسبوع المقبل وتنقل الحلول.

يبدو أن الحياة سهلة، البعض لا يجيدون فك شفراتها فحسب.

تحرك الأسبوع في اتجاه المستقبل، وأتى الخميس المحبوب والجريدة الأثيرة بمربعاتها.

تاهت بين الحلول والمطلوب.

مربع زائد في أحد السطور أعجزها عن ملء الفراغات.

بطريقة ما يفلت خيط من بين يديك.

(١٩)

(السراب)

"ذاك الذي يقف على ناصية حنيني، يشعل عود ثقابه في رواق قلبي ينفث دخانه في جناح نسائه، فتحترق قلوبهن، ويرحل في موكبه الدخاني، لم يمس طرف عباءته شوق".

نفس الحلم يتكرر، دائمًا يفوتني موعد.

هذه المرة جهزت حقيبة سفري على عجل.

انتظرت المصعد، ركبت وضغطت زر الرقم المرغوب.

وصلت للدور الأرضي بلا حقيبتي، أصعد مرة أخرى أجدها.

أتمسك بها جيدًا، وأعود إلى طريقي، فلا أجد المصعد!!

كان هنا منذ دقائق.

أفيق من الحلم، أفرح كثيرًا لكونه حلمًا ما زال في العمر بقية، وما زال

obeikan.com

لدي الوقت الكافي.

أرد على المكالمة الواردة، صوته، جنته التي أدخلها عبر الأثير.

يقطع الوقت بسيفه حلو حديثنا، ينصرف لعمله، وانصرف.

ما زلت تحت أثر خدر المكالمة، أفكر بكل كلمة وحرف.

ينتصف النهار، وأجدني في المطبخ أجهز على عجل وجبة للقادمين.

أشاهد التلفاز، يستوقفني المشهد العاطفي، أنسى ما أشم رائحة شياطه لاحقًا.

أدخل المطبخ نادمة وغاضبة أطفئ النار، لكن بعد فوات الأوان.

سأعيد الطهي من جديد، لا سأخبرهم بأن الوجبة جاهزة للأكل تمامًا.

ماما ليه الأكل أسود كده؟!

زياد حبيبي هو الأكل أما نزود في تسويته بيحصل كده.

يكمل طعامه، تخبرني بقايا الطعام المتروكة أنه لم يقتنع بحرف مما قلت، كما لم تقنع معدته كذلك.

حسنًا في الغد سأطهو لهم وجبة شهية، يحب زياد البرجر، سأبتاعه وأقليه وسأنتبه تمامًا للنار.

obeikan.com

في الغد ابتعت الوجبة المفضلة لزياد، وضعتها على النار، ودق الهاتف.

لم أتبين الصوت داخل المطبخ، الشبكة سيئة، ولا أكاد أبين ما أسمع.

أنتظر المكالمة والصوت، وتنتظرني رقائق البرجر على النار، ترجوني أن أقلبها على وجهها الآخر.

تركت الهاتف لثوانٍ، قلبت البرجر على وجهه الآخر، لم أسمع فيها الجملة الفائتة، لم أوضح لمحدثي أني لم أسمع، بل تظاهرت بالفهم وبالموافقة!!

تسير خطتي على ما يرام، لن أفوت المكالمة، ولن أفسد وجبتهم لليوم التالي على التوالي.

يصفعني صوت محدثي، ألاحظ أنه يتشاجر معي الآن، ماذا فعلت؟

لم يتضح لي من الحوار شبه المسموع ما جرى.

أشم رائحة الشياط من ناحية المطبخ، عليّ الآن أن أسرع لالتقاط الرقائق من على النار، كيف سأفعلها هذه المرة؟

على الطرف الآخر يعرف تمامًا أني لا أسمعه جيدًا، فشاط هو الآخر..

انتشرت رائحة شياط الطعام والصوت على حد سواء.

openkan.com

حاولت تهدئة حدة محدثي، ما إن هدأ، كانت النار قد اشتعلت على الجانب الآخر.

أنهى الحوار وهو ما زال غاضبًا، أو هكذا شعرت!

رميت قطع البرجر المحترقة، لن يأكلها زياد، وشرعت في قلي أخرى.

انسابت دموعي، لا أدري لمَ أشعر بأني أجري في المكان؟ وأمد يدي فلا تطال ما أرجوه، ولا ترتد إليّ من غير سوء.

جهزت المائدة ووضعت ما طهوته اليوم، نظراتهم المنتشية بالوجبة أنستني دموعي السابقة، وتابعتهم وهم يتشاجرون على القطع المقلية.

ومن جديد يسأل زياد:

ماما ليه البرجر طري ومش ناشف كده؟!

كان الهاتف يدق فلم أُجبه.

(هو من شق في القلب جرحًا بطول عمر وعمق زمن).

obeikan.com

(٢٠)

العفريت لا يطرق الباب

كانت أمي تخبرني كل ليلة بأن العِفريت يقف بالباب، وينتظر الساهرين ليغمض عيونهم للأبد.

كانت تحتال عليّ لأنام ملء جفوني وأغمض عيني طوعًا.

لم تعرف أمي أني أغمضتهما كل ليلة كرهًا، وأن عيني المغمضة لم تكن مغلقة، وأبصرت بها جُل الحقائق.

ولكني الآن بعد رحيلها.. وبعد أن أصبح لبابي قفل من حديد.. ما زلت أسمع تحذيراتها وأغمض العينين، حتى لا يخطف بصري ذاك العفريت.

في النهاية

(نحن مهرة في العصف بقلوب.. طالما منحتنا السكينة).

obeikan.com

إلى أبي

أفتقد كل ما منعك مرضك الأخير أن تفعله لأجلي.

أن تضمني إلى صدرك دون أن تنزلق قدماك أو تفقد توازنك.

أن تعانقني بقوة، فلا أستطيع ولا أود الفرار من بين ذراعيك.

قبلاتك لي وعدم تحملي لدغدغة ذقنك النابتة.

نكاتك وحكاياتك الخفيفة.

حتى دخان سيجارتك وسعالك بعدها.

صوت مفتاحك الذي تآلف مع قفل الباب، فعرف طريقه دون تدخل منك.

سألتني صديقة: إن كنتَ قرأت كتابي السابق؟

فاكتشفت أني لم أهدك إياه، رغم أني كتبتك فيه!

obeikan.com

أني لم أقل لك يومًا كم أحبك، وأندم على ذلك كثيرًا الآن.

بعد رحيلك يا أبي خبرتُ معاني جديدة للحزن.

مثل أن تعيش حياتك وجزء منك لم يعد ينتمي إليك.

أحسد التراب الذي يضم رفاتك لأني أعرف أنه حتى هذه الذرات الباردة ستبث فيها من دفئك.

أنت لن تعوض، ولن تتكرر، ولن أحزن كما حزنت عليك.

أعرف أنك لا تسمعني الآن، ولكنك تحسني جيدًا.

أراك في أحلامي دائمًا مبتسمًا.

تحادثني وتسمع لي.

هذا العالم صغير جدًا بدونك!

خانق جدًا بلا أنفاسك.

مفتقد بشدة لدعاباتك.

obeikan.com

الفهرس

إهداء ٥

في البداية ٧

١- فستان صوفي أخضر ٩

٢- قارئة الفنجان ١٥

٣- ولكني أتجمل ٢١

٤- ملعقة شك ٣٠

٥- كاروهات ٣٨

٦- التاكسي ٤٩

٧- الدمية ٥٧

٨- السبع بحور ٦١

٩- مترو ٦٦

١٠- عباد الشمس ٧١

١١- السبحة ٧٨

obeikan.com

١٢- امرأتان ٨٧
١٣- التاجر ٨٩
١٤- نفايات ٩١
١٥- السمسار ٩٣
١٦- حرية ٩٦
١٧- هذه ليلتي ١٠٥
١٨- مربع صفر ١١١
١٩- السراب ١١٤
٢٠- العفريت لا يطرق الباب ١١٨
في النهاية ١١٩

obeikan.com

شكر خاص

إلى

الألم سيد المُلهِمين

والحب سيد المؤلمين

obeikan.com

سهام سمير، من مواليد القاهرة تخرجت في كلية الألسن قسم اللغة الألمانية، لها كتاب خواطر نثرية بعنوان (وقع خطاه) ٢٠١٦.

obeikan.com

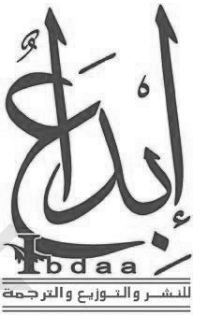

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com